الجمهوريــة الجزائريــة الديمـقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
جامعة محمد خيضر بسكـرة

كليــة الآداب واللغـــات
قسم الآداب و اللغة العربية

الذات و الآخر في رواية "تغريدة البجعة" لـ:مكاوي سعيد

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية

تخصص: نقد أدبي

إعداد الطالبة:
إلهام بتيش

إشراف الدكتور:
جمال مباركي

لجنة المناقشة

الرقم	أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة
01	محمد الأمين بحري	أستاذ دكتور	رئيسًا
02	جمال مباركي	دكتور	مشرفًا ومقررًا
03	عبد الرزاق بن دحمان	دكتور	مناقشًا

السنة الجامعية: 1437هـ/ 1438هـ

2016م / 2017م

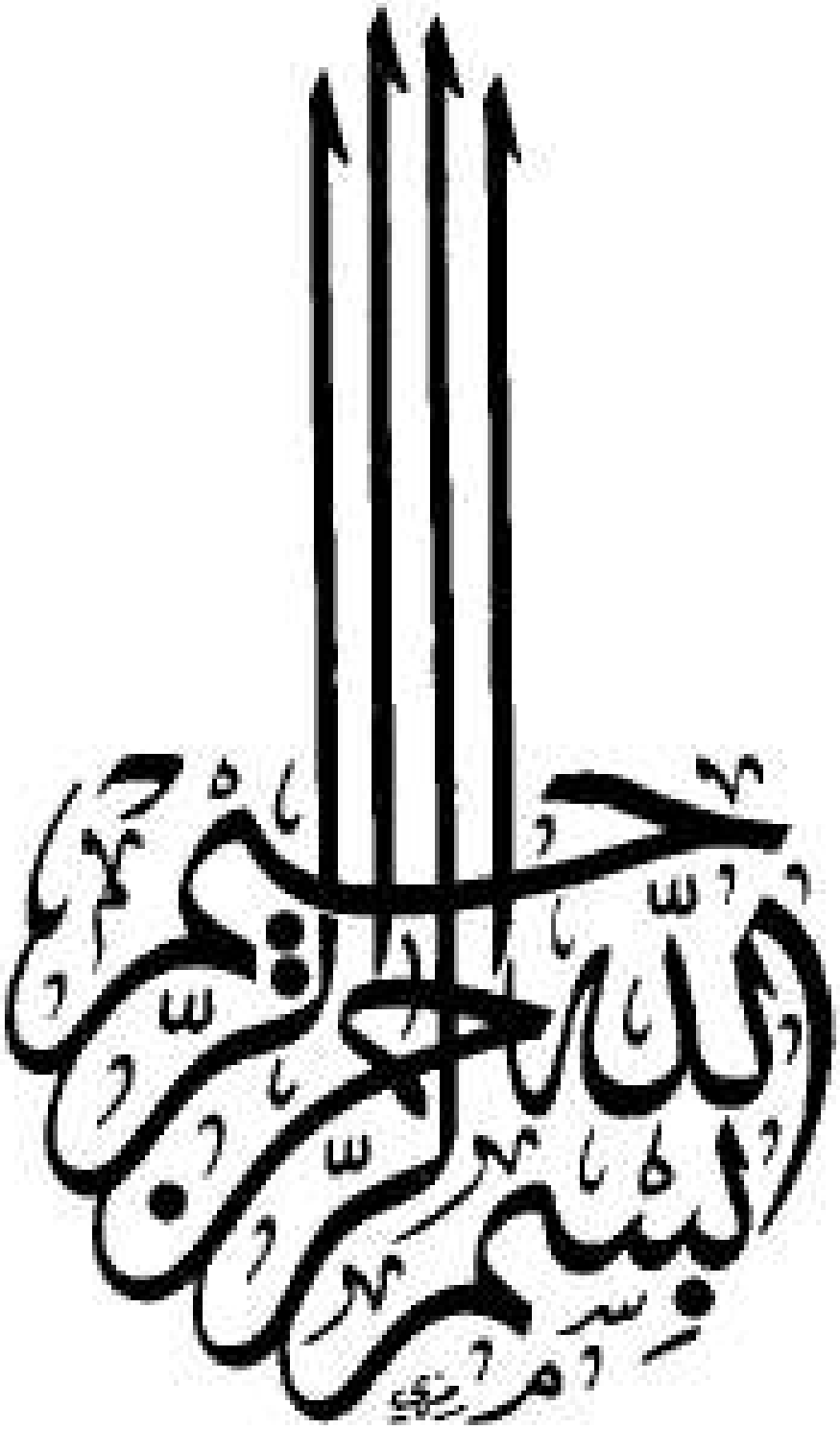
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات الآية 13.

شكـــــــــر وعـــــــــرفان

قال تعالى : << رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ و على والديّ، و أن أعمل صالحا ترضاه.>>

سورة النمل ، الآية 19.

نشكر الله تعالى الذي هدانا و وفقنا و لولاه لما كنا لنهتدي، لك الحمد يارب حتى ترضى و لك الحمد بعد الرضا

باسم كل عبارات التقدير و الاحترام ، أتقدم بجزيل الشكر و الثناء إلى من كان مثالاً للصبر ورحابة للعلم

للأستاذ المشرف : "جمال مباركي "

الذي شرفني بإشرافه بارك الله فيه و جزاه خير الجزاء لما قدمه لي من وقت و توجيهات قيمة، له منى أسمى عبارات التقدير و الاحترام.

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي و

إلى الوالدين الكريمين أدامهما الله لي سندا في الحياة

و شكرا لكل من ساهم في تقديم يد العون لي و لو بكلمة

مقدمة

تعد الرواية من أبرز الوسائل التي تقدم لنا الواقع المعيشي ممزوجا بالمتخيل،حـيـث اختلفت الرؤية و الأفكار حولها،كما شقت طريقها الفني مستقلة بذاتها تبني رؤيتهـــــــــا و مضامينها بما يتفق بقضايا الإنسان تبعث بنا للتطلع بصورة واضحة على العالم، مـــا وراءه من خبايا و إشكالات و تحولات و صراعات بين الذات والآخر في وطننا العربـــــي خاصة إذا علمنا أن جدلية " الذات و الآخر " علاقة قائمة حول التناقض بين الطرفين منذ قرون مضت إلى حد الآن ، حيث تسعى الذات منذ تلك الفترة أن تثبت نفسها بكل نضال ، و أن تترك بصمة الكفاح و صورتها للآخر، و صده بكافة الطرق و هذا ما دفـع إلى طرح إشكاليـة " الذات و الآخر " في الرواية.

و من أبرز الروايات التي كان لها تصور واضح وجلي للواقع العربي نجد روايـــة **(تغريدة البجعة)**"**لمكاوي سعيد**"،و هذه الرواية التي تعد بمثابة رؤية جديدة للرواية العربيـة التـــــي تحظى بإبراز عظيم في تقديم الذات و الآخر ، لذلك سلطت ضوء دراستي فـــي هـــذه الرواية لما تضمنته من معالجة لطبيعة العلاقة التي تربط بين الـــذات العربيـــة والآخر الأجنبي و الغربي بالخصوص.

و يعود سبب اختياري لهذا الموضوع إلى شغفي بكشف أسرار الأسلوب الروائي و مدى ربطه للأحداث و تماسكها وبيان العلاقة الغامضة بين" الذات و الآخر ".

و الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء ، نحو هاته العلاقة و إزالة الغموض الـــــذي يكتنفها .

وقبل خوضي في إبراز صور هذه العلاقة التي تربط الذات بالآخر أو العكس، شغلتنـــــي

مجموعة من التساؤلات ، حاولت الإجابة عنها في متن البحث و هي :

- ما مفهوم " الذات " و " الآخر " ؟
- و ما الشخصيات الروائية التي مثلت هذين الطرفين الذات و الآخر ؟
- كيف تعددت أشكال الآخر ؟
- ما نوع العلاقة التي تربط الذات بالآخر من خلال هذا النص الروائي ؟

وقد ارتأيت أن أهيكل البحث في الخطة الآتية:

مقدمة يتبعها مدخل تحت عنوان تحديد مفاهيم أولية للمصطلحين الذات و الآخـــر

ثم يأتي **الفصل الأول** الذي عنوناه ب: **الذات في رواية "تغريدة البجعة"** يندرج تحتـــه عنصران :

الأول الذات عبر الشخصيات و الثاني علاقة الذات بالمكان و الزمان.

وبعد ذلك يأتي **الفصل الثاني** تحت عنوان: **الآخر في رواية "تغريدة البجعة"** و تضمن ثلاثة عناصر هي :

الأول: الآخر عبر الشخصيات، و **الثاني: الآخر عبر أحداث الرواية** ، و **الثالث: علاقـة الذات بالآخر.**

وأنهينا البحث **بخاتمة** تكفلت برصد النتائج المتوصل إليها و ملحق تضمن عنصريـن: الأول: **سيرة الراوئي " مكاوي سعيد"** ،و العنصر الثاني: **ملخص رواية " تغريدة البجعة".**

و قد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي الذي ساعدني في سرد أفعال الـــذات و الآخر ممزوج بالمنهج النفسي الذي يركز على دراسة الإنسان و ما يجتليه باطنيا ، و البحث عن الدوافع التي تجعله سلك سلوكا معينا.

و من أهم المصادر و المراجع التي تغذى منها البحث وكانت لي سندًا في مواصلته

أذكـــــــر :

- **صورة الآخر في التراث العربي لـــــ: ماجدة حمود .**
- **في معرفة الآخر لـــــ: ابن سالم حميش .**
- **جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي لـــــ: فاضل أحمد العقود .**
- **البنية و الدلالة لـــــ أحمد مرشد .**

و كأي باحث واجهتني مجموعة من الصعوبات تمثلت في تشعب الموضوع و كـــثرة المادة التي تتطلب و قتا أكثر.

و لكننا بعون الله سبحانه و تعالى تمكنت من تجاوز هذه الصعوبات و تخطيـــها.

و في الأخير أتقدم بالشكر و العرفان و الإخلاص إلى كل من كان له الفضل فـــــي مساندتي في إنجاز هذا البحث بكتاب أو ملاحظة أو كلمة مهما كانت بسيطـــــــــــــة.

و الشكر الخالص للدكتور المشرف " **مباركي جمال** " له مني كل الامتنان و التقديـــر الذي لولاه لما كان لهذا البحث أن يرى النور.

مـــــــــدخل:

تحديد مفاهيم أولية.

أولا: مفهـــــوم الـــــــذات :

1 -1 لغـــــة.

1-2- اصطلاحا.

ثـــانيا: مفهـــــوم الآخـــر:

2-1 لغـــــة.

2-2 اصطلاحا.

للإنسان دور فعال في تكوين المجتمع ، فعلاقة الفرد بالمجتمع علاقة مزدوجة ثنائية الأبعاد ، لذا اعتبره البعض بأنه مازال غامضا و مجهولا، رغم ما بذل من مجهود جـــبار كي يعرف نفسه ، و رغم أننا نمتلك كنزا من الملاحظات التي كدسها العلماء و الفلاسفة و المفكرون عبر الأزمنة المتعاقبة، إلا أننا لم نستطع أن نفهم جوانب معينة من أنفـــسنا ماعدا معرفتنا أن الإنسان ككل مكون من أجزاء مختلفة فقد غدا إلحاح المرء أكثر علـــى أن يفهم نفسه كي يتمكن من معرفة العالم وما حوله، كما أصبحت حاجة الناس في فـــهم ذواتهم لتحقيق التوافق بينهما و بين العالم المحيط بها ، و لهذا اهتم كثير من المؤرخيـــن الفلاسفــة و علماء النفس بدراسة الإنسان و شخصيته و القضايا المتصلة بـ: مفـــــــهوم الذات، و مفهوم الآخر لتأسيس نظرة واسعة لهذين المفهومين " **الذات الآخـــر** ".

وقد تناول كثير من العلماء و الدراسيين"**ذات الإنسان**"و أعطوها اهتماما كبيرا في الدراسات الأدبية و النفسية و الاجتماعية و الحضارية، فما مفهوم الذات و الآخر في هذه الدراسات؟

أولا: مفهوم الذات في اللغة و الاصطلاح :

1- الـذات في اللغـــة :

الذات في لسان العرب <<مؤنث(ذو) قال الليث:ذات نفسه كأنه يعني سريرته المضمرة،أي الذات نفسه ، و كل ما يوجد داخل الذات من مشاعر وأحاسيس و حقيقة القلوب مـــــن المضمرات >>. (1)

الذات: يعني الذات النفس والشخص في: << الفرنسية "essence"و في اللاتينيـــــة "essentia " وفي الإنجليزية" Essence" >>(2).

---

1) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي : لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة مصر، مادة (الذات) ، مج2،ط1، (د،ت) ، ص1874 .

2) د/جميل صليبا: المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية و الإنجليزية، واللاتينية)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، 1982، ص 579.

أما في أساس البلاغة فمعنى الذات هو: << ذات نفسه ، وجاءوا من ذي أنفسهم وذات أنفسهم أي طائعين.>> (1)

بمعنى أن الذات لا يمكن أن تنقطع عن أنيتيها فهي الشخصية والنفس معا، و في قوله تعالى: ﴿ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (2).

2- الذات في الاصطلاح:

أما مفهوم الذات اصطلاحا فقد أسهب العلماء في تعريفها، فتعددت الآراء حولها لأهميتها في السلوك الإنساني وجوهر شخصيته ، و يعد مفهوم(الذات) من الأبعاد المهمة في الشخصية الإنسانية كونها لها أثر كبير في سلوك الفرد و تصرفاته ، حيث تلعب دورا فعالا في توجيه السلوك وتحديده ،فالكيفية التي يدرك بها الفرد ذاته تؤثر في الطريقة التي يسلكها فالأفراد الذين يحملون مفهوما إيجابيا للذات عن أنفسهم المتوفرة على التكيف مع الأفراد الذين يحملون مفهوما سلبيا عن ذواتهم ، لذا تعددت التعريفات حولها نذكر منها : تمثل **الذات عند أدلر**(*) ،(ت 1935) ADLER:

<< تنظيما يحدد للفرد شخصيته ورؤيته ، وهذا التنظيم يفسر خبرات الكائن الحي ويعطيها معناها، وتسمى الذات لاكتساب الخبرات التي تكفل للفرد أسلوبه المتميز في الحياة، وإذا

---

1) جار الله الزمخشري : "أساس البلاغة" ، تح : محمد باسل ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، 1998 ، ص 321.

2) سورة الملك، الآية 13، ص 563.

*) ألفريد أدلر : Alfred Allerعالم نفس أمريكي مؤسس مدرسة علم النفس ألفريدي ،طبيب نفسي نمساوي ولد عام 1870، توفي عام 1935، مؤلفاته: تربية الأطفال – علم النفس ألفريدي.

لم توجد تلك الخبرات فإنها تعمل على خلقها >>. (1)

كما وردت لفظة الذات عند **ريموند كاتيل**(*) (ت 1950 Cattell) و اعتبرها:

<< الأساس في ثبات السلوك البشري وانتظامه >>.(2)

أما "**ميرفي**" فيعرفها: << على أنها مدركات الفرد ومفاهيمه فيما يتعلق بوجوده الكلي أو كيانه، أي أن يدرك نفسه ، وفي رأيه أن (الأنا) ego عبارة عن جهاز من الأنشطة المعتادة التي تدعم الذات أو تحميها عن طريق استخدام ميكانزمات معينة مثل: التبرير و التقمص والتعويض.>>.(3)

ومن أوائل علماء النفس الاجتماعي الذين كان لهم إسهام فاعل في دراسة الذات العالم **كولي** (cooley1952)، وهو صاحب الرأي المشهور:

<<أن المجتمع مرآة يرى الفرد فيها نفسه و" **مفهوم مرآة الذات** " هو أن الفرد يرى نفسه بالطريقة التي يراها به الآخرون >> . (3)

يتبين من خلال الدراسات التي اهتمت بالذات والتي أشار فيها " نور الدين يعقوبي " إلى أن :<< ذات الإنسان هي نفسه العاقلة العارفة >>. (1)

---

1) محمد كاظم الحيزراني :"مفهوم الذات و النضج الاجتماعي"، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2011، ص 24 .

*) ريموند كاتيل rymound cattel : عالم نفسي أمريكي ولد عام 1908 ، درس علم النفس في جامعة كولومبيا مؤلفاته: دليل الاختيار العقلي، علم النفس العام.....

2) محمد كاظم الحيزراني : "مفهوم الذات والنضج الاجتماعي" ، ص25 .

3) المرجع نفسه.

4) المرجع نفسه. ، ص26.

وهذا التعريف الأخير اعتبر الذات الجزء الظاهر من النفس ، و مهما يكـــــــن فإن كان تناول النفس قد برز بوضوح لدى الفلاسفة فقد برز أكثر في علم النفس إذ إن مرادفة لـ:(soiالفرنسية،self في الانجليزية،Selbst كلمة الذات في الألمانية).

– في حين يرى "**زهران**" الذات هي : << الشعور الواعي بكينونة الفرد>> .(1)

– و يشير " **يونك**" **Young**":<< إن الذات في وسط الشخصية و تتجمع حولها النظم النظم الأخرى لتمد الشخصية بالتوازن والثبات >>.(2)

– ويعرفها "**ساربين**"Sarbin1952 " : << أن الذات هي بناء معرفي يتكون من أفكـار الشخص عن مختلف نواحي وجوده ، فمفهومه عن جسمه هو (الذات البدنـــــية) ، و مفهومه عن أعضاء الحس لديه هو (الذات الحسية) ، و عن سلوكه الاجتماعـــــي هو (الذات الاجتماعية)>> .(3)

و يعتقد " **ساربين** " أن هذه الذوات تتكون بشكل ارتقائي منظم الذات البدنية أولا ثم الذات الحية و أخيرا الذات الاجتماعية.

و يفهم من هذا أن الذات مفهوم يتكون من أفكار الفرد الذاتية التي يتمثلها من خـــلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، فالذات هو إحساس الفرد بقيمة نفسه من خلال احتكاكـه مع البيئة المحيطة به التي تتضمن جميع آرائه وأفكاره و مشاعره و اتجاهاته النابعة لديه.

---

1) د/ غازي صالح محمود وشيماء عبد مطرة :" مفهوم الذات "،مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ، الكردي ط1 ، 2010 ، ص22.

2) المرجع نفسه ، ص 23.

3) محمد كاظم الحيزراني :" مفهوم الذات والنضج الاجتماعي" ، ص 26 – 27 .

ثانيا: مفهوم الآخر في اللغة و الاصطلاح:

1-الآخر في اللغة :

وردت كلمة(الآخر) في" لسان العرب" بمعنى<< أحد الشيئين وهو اسم على أَفعَلَ(..) والآخر بمعنى غَيَرَ، كقولك:رجلٌ آخرٌ وثوبٌ آخرٌ وأصله أفعلُ من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلنا، فأبدلت الثانية ألفا لتكونها و انفتاح الأولى قبلها >>.(1)

كما جاءت لفظة (الآخر) في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾.(2)

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ إِسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا ﴾.(3)

صورة هذه الآية الآخر بصورتين مختلفتين أولهما ما ذهب إليه ثعلب:<< فمسلمان فمسلمان يقومان مقام النصرانيين يحلفان أنهما أختانا ثم يرتجع على النصرانيين>> .(4)

أما المعنى الثاني فنستنتجه من تفسير " الفراء"(124هـ)، حيث رد معنى اللفظة إلى << آخران من غير دينكم من النصارى و اليهود، وهذا للسفر والضرورة، لأنه لا تجوز شهادة الكافر على مسلم في غير هذا >>.(5)

وقوله تعالى: ﴿ وَ ءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾.(6)

---

1) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي:" لسان العرب"، دار صادر،بيروت،لبنان،ط3، 2004، ص151.

2) سورة المائدة الآية27، ص112.

3) سورة المائدة، الآية107، ص125.

4) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي: " لسان العرب"، ص 160 .

5) المصدر نفسه، ص 160 .

6) سورة ص، الآية 38، ص455.

وقوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾. (1)

و هذه إشارة صريحة على وجود الآخر، و لم تكن الإشارة الوحيدة التي وردت في القرآن الكريم دليل على وجود كلمة الآخر، فقد وردت في مواضع عدة.

كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ .(2)

في الآيتين إشارات دالة على نجاة فريق منهم من الغرق و التدمير.

كما ورد مصطلح " الآخر في معجم الوسيط" على أنه:

<< آخر: تأخر، و الشيء جعله بعد موضعه، والميعاد أجله (تأخرا عنه جـــــــــاء بعده، وتقهقر عنه ولم يصل إليه).

و الآخر: أحد الشيئين ويكون من جنس واحد >>. (3)

و مما ورد نستنتج أن(الآخر) جاء بمعنى الغير، المعارض، المخالف.

2- الآخـــــر في الاصطلاح:

وردت لفظة(الآخر) بعدة مفاهيم وعدة تعريفات متعددة المعاني، و مختلـفة باختلاف و جهات النظر و الرؤى البحثية فلسفيا و نفسيا نذكر منها:

<< الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي ومتحرك ، ذلك لأنَ الآخر لا يتحـدد إلا بالقياس مركزية هي الذات ، و هذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة ، فقد يتحدد إلى نقطة الآخر بالقياس إليَّ كفرد أو إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال ، و الفقراء بالقياس إلى الأغنياء ، أو خارجية بالقياس إلى مجتمع

---

1) سورة الصافات، الآية 82، ص 449.

2) سورة الشعراء ، الآية 172 ، ص 374 .

3) إبراهيم مصطفى وآخرون : " معجم الوسيط " ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، تركيا ، (د،ط) ، (د.ت)، ص 9.

بصورة آدم >>. (1)

بمعنى<< كالبيض بالقياس إلى السود أو العرب بالقياس إلى الفرس، وهذه النسبية في مفهوم الآخر هي ما يجعل من الصعب تحديده من ينطبق عليهم إذ أن كل آخر بالنسبة لشخص أو لجماعة هو ليس بآخر لشخص آخر أو جماعة أخرى>>. (2)

وفي تعريف آخر وردت لفظة(الآخر)بمعنى:<< الآخر الذي يبدو مختلفا عن(الآنا) حيث يظهر في صورة مشوهة بسبب ما اقترفه(الآخر) من سفك الدماء ، فجعل (الآنا) تحمل مشاعر الكراهية نحوه >>. (3)

وفي عديد من التعريفات للآخر عند الكتاب العرب المحدثين أمثال:

<< بن فضلان، الشدياق ، والطهطاوي، وغيرهم كثير من صار(الآخر) عندهم هو بالتخصيص الغرب الأوروبي >>. (4)

وقد جرى على هذه اللفظة (الآخر) تغير وتطور دلالي حولها من مجرد لفظة إلى مصطلح في العلوم الإنسانية له دلالات خاصة ومحددة ،وذلك ما حدث لكثير من الألفاظ ، غير أن هذا التطور الدلالي للفظة(الآخر) لم يحدث جرَّاء تطور فكري في الثقافة العربية ، وإنَّما الذي حدث إلى أن:

<< مصطلح(الآخر) في العربية هو ترجمة لمصطلح تنامي في اللغات الأوروبية لا سيما الإنجليزية و الفرنسية >>. (5)

---

1) محمد الخباز: "صورة الآخر في شعر المتنبي" (نقد ثقافي)، دار الفارس للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص23.

2) المرجع نفسه ، ص 24.

3) ماجدة حمودة:" صورة الآخر في التراث العربي"، دار العربية لعلوم ناشرون ، الجزائر ، ط1،2010،ص 218 .

4) ابن سالم حميش : " في معرفة الآخر" ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، سوريا ،ط2، 2003 ، ص7.

5) محمد الخباز: " صورة الآخر في شعر المتنبي "، ص21.

وقد أصبح يَرِدُ:<< بوصفه بنية لغوية رمزية،ولا شعورية تساعد الذات على تحقـــيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها هو من يطلق عليه (الآخـــر.)>>. (1)

إذا نظرنا إلى التعاريف السابقة وجدنا أنه من الصعب فصل الآخر كمفهوم فـــي تعريفه عن مفهوم الذات ، ذلك أنهما دائرتان متداخلتان جدا.

إذ أن هناك << تلازما بين مفهوم (صورة الذات) ، ومفهوم (صورة الآخـــر) باستخدام أي منهما يستدعي تلقائيا حضور الآخر>>. (2)

ومن هنا يتبين أن الدراسات تتفق من حيث المفهوم على أن(الآخر): << هـــو الغير سواء أكان الخصم الذي اصطدم مع الذات وتمرد عليها، أم كان صديقا تعاطف معها وانجذب نحوها وبادلها حبا بحب ، فإنه في كلتا الحالتين لا يستطيع (الآنا) العيش بدون الآخـــر سواء أقلنا مع "سارتر"(1905–1980) (إن الجحيم هو الآخر"الغير") أم قلنا مع "جوتـة." (1749 –1832): (إنه ليس ثمة عقاب أقسى على المرء من أن يعيش في الجنـــة بمفرده)>>. (3)

و من خلال هذا يتضح أن (الآخر) هو المعارض والمخالف و الغير .... إلـــخ وهو الذي يخالف الذات ، ويظهر كالمستعمر (للأنا) و ما شابـــه ذلك من التصـــادم والصراع، وقد يحصل بينهما التصالح و التعاون.

و هذا المفهوم الحضاري الأخير للذات والآخر هو الذي سندرسه في إحدى الروايـــات العربية الجديرة بالقراءة ، و هي رواية (تغريدة البجعة) للكاتب المصري مكاوي سعيـد.

---

1) محمد الخباز: " صورة الآخر في شعر المتنبي"، ص 21.

2) المرجع نفسه ، ص 22 .

3) فاضل أحمد العقود : " جدلية الذات ، والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)"" ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1،2012، ص34.

الفصل الأول

الفصل الأول :الـــذات في رواية تغريدة البجعة

أولا : الذات عبر الشخصيات:

1- مصطفى.

2- عصام.

3- كريم.

4- يوسف حلمي.

5- هـــــند.

ثانيا : الذات عبر المكان و الزمان .

أ- علاقة الذات بالمكان .

1- الأماكن المفتوحة.

1-1: المقهى.

1-2: الجامعة.

1-3: الأحياء و الشوارع.

2- الأماكن المغلقة:

2-1: البيت.

2-2: السجن.

ب- علاقة الذات بالزمان.

أولاً : الذات عبر الشخصيات :

قبل الخوض في إبراز أهم الشخصيات الرواية لابد لنا أن نعرف هذا العنصر" الشخصية" أو هذا الكائن الورقي إذ هو<< يمثل مفهوم الشخصية عنصر محوريا في كل سرد بحيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات و من ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية >>. (1)

ومع ذلك الشخصية تتخذ جوهراً، و مدلولاً و نمطاً اجتماعيا كما <<الشخصية تعد كائن خيالي ، تبنى من خلال جمل تتلفظ بها هي، أو ما يتلفظ بها عنها>>. (2)

ومن هذا التعريف نتطرق ، ونتحدث عن هوية " الذات" المتعلقة بشخصيات الرواية التي تجسد لنا عدة مستويات و تمثلت في :

1- مصطفى : وردت شخصية " مصطفى كونها شخصية رئيسية، و العنصر المهم في بنا أحداث الرواية ، إذ يعتمد الروائي " مكاوي سعيد" في إبرازه لإعطاء الرواية تجسيدا فنيا في تفعيل الأحداث و دمج القارئ في زواياها وذلك من خلال الدور الرئيسي له تعد الشخصية الرئيسية بمثابة << نماذج إنسانية معقدة وليست نماذج بسيطة و هذا التعقيد هو الذي يمنحها القدرة على اجتذاب القارئ >>. (3)

وفي الرواية ظهرت شخصية " مصطفى" في صفة الراوي " السارد" إذ تقمص هذا الأخير محور الشخصيات التي تبرز لنا الذات العربية " الآنا الشرقي" ففي البداية يجدر بنا أن نلم ببعض الأمور التي تفيدنا في فهم " مصطفى ".

فهو العنصر الأساسي ومركز الرواية الذي يعطيها حسَاً جمالياً، و خطاباً روائياً الذي يحظى به من طرف الروائي يعتبرها الشخصية المناسبة لتمثيل البعد المأساوي للأحداث

---

1) محمد بوعزة: "تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم"، دار الأمان ، الرباط ،ط1 ،2010 ،ص39 .

2) المرجع نفسه، ص40 .

3) المرجع نفسه ، ص 56 .

وتواليها كما جاء في الرواية.

يقطن"مصطفى" بشارع " توت غنخ أمون" بمنطقة الطالبية بالهرم عاش طفولته، و صباه و بنى أحلامه هناك يقول الراوي: << فعندما أمر بها أو تواجد فيها أو حتى أخبرها في طريقي لأية جهة ، أحس بالحشائش والطين الجاف والأغصان الصغيرة ... >>. (1)

مصطفى يقيم مع والديه وشقيقتيه يهتم بدراسة المجال الأدبي على أنَه التحق بكلية الآداب إلا أن مصطفى يشارك في مجموعة مظاهرات ضد الحكومة لبلده على بعض الآراء المعترض عليها من قبل الشعب وجراء هذا لقي بعض المعاملات السيئة من أبيه لسوء استقامته و أنا أصبح ربيب سجون أبوه تمنى له الأفضل لأنه أمله في الحياة يقول الراوي: << ابنه الوحيد الذي كان يأمل في الاطمئنان على مستقبله قبل رحيله عن عالمنا بينما فاجأته أنا بأسوأ خبر يمكن أن يسمعه >> (2).

بعد خروج مصطفى من السجن صادفه خبر وفاة أبيه أدرك حينها أنَ الحياة تركت له مسؤولية أمه وإخوته لذا قرر إتمام دراسته و تزويج شقيقتيه ،واجه مصطفى كثيرًا من الصعوبات و الانعراجات سواء في بلده أو في بلد آخر سعيا للعمل توفير الاستقرار وبالأخص تحكمت بمصطفى مجموعة من الدوافع المتناقضة وحالة من التشتت و الضياع النفسي في بعض الأحيان ،و ما صادفه من المجتمع في أغلب شؤون حياته حياته، تبدأ معه من المراهقة وفي شبابه وكهولته فيمضي عمره في منطقة رمادية فكرًا وسلوكاَ ، و كلما زادت تجاربه زادت حيرته حيث يقول :<< كثيرا ما يشغلني شاغل أتحير في إيجاد أسباب له ، أو حتى تبريرات ... تغيرت الحياة بمصر

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ،ط 5 ، 2008 ، ص 73.

2) المصدر نفسه، ص 75.

كثيرا....>>. (1)

تبين من خلال هذا القول بأنَه كثيرا ما ينجح في حياته و تحقيق الأمان لنفسه لكثرة الصراعات وعدم الوصول إلى المبتغى المراد له إلا بعد معاناة و نضال دام سنوات .

دخل مصطفى مجال الصحافة، ولم يفلح في ذلك رغم أنَه حلمه الوحيد والسبب الممكن له يقول :<< فلم أفلح في أية صحيفة بمصر لم يتحملوا مزاجيتي و لم أحتمل رواتبهم الواهية.... ولم تعد بي رغب في التدريس النظامي ...>>. (2)

و على ذكر هذا الأخير كان مصطفى يقدم بعض الدروس الخصوصية لطلبة أجانب و تعليم اللغة العربية لهم.

تشابكت خيوط عديدة لديه تمثلت في نظرته للإنسان و المجتمع أراد أن يكشف عن زيف الأقنعة و مدى تحولها التي قد تزيد في بعض الأحيان إلى التهور، و النكران بحيث ينتقل من حالة معقولة إلى حالة متناقضة لصراعه حينها أدرك بأنَ الحياة تكشف لنا متى الحزن و الفرح وفجأة العكس تماما بقوله الراوي :<< ... أنا مجرد عرض لها ... عبرت الزمن فجأة... حاولت أن أحلل تلك الظواهر مستعينًا بقراءتي أو بالكتب المتخصصة ، أو حتى مستهيناً بصديق، وفشلت تماماً ...>>. (3)

من سياق هدا الحديث يتبين أنَ مصطفى تصدى لمجموعة من الصراعات و الاضطرابات أعاقت مساره المستقبلي،سواء مع نفسه أو بين الماضي والحاضر وما سوف

1- مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ،ط 5 ، 2008 ، ص 93.

2- المصدر نفسه ، ص 45 .

3- المصدر نفسه، ص 93 .

سيكون بـــــعد .

انتقل بنا الراوي " مكاوي سعيد " بهاته الشخصية وأعطى لها دوراً محركاً للأحداث وما تقدمه من نظرات متغيرة ، تمثل سيرته مساراً معاكسا تنتقل بـــ من وضع سيء إلـــــى وضع أفضل سيرته جديرة أن تروى لأنَها تمثل شعارًا لشخصية عاجزة استطـــــاعت أن تحول عجزها إلى نجاح وتفوق ، بتغلبه على ظروفه و عجزه و فقره.

2- كـــــريم:

وردت شخصية "كريم" من خلال الرواية على أنها شخصية لصورة إنسان إيجابـــــي في نفس الوقت هو شخصية مساعدة للراوي أي <<هو الذي يقف إلى جانبها و يساعدها على تحقيق موضوع رغبتها >>. (1)

كريم قريب من مصطفى " الشخصية الرئيسية " لأنَها بمثابة نموذج للـــواقع يهتـــم له ولتفاصيل حياته هو من أسرة متوسطة الحال ،و والده يعمل جزاراً بعزبة النخل، كريم رقم من خمس عشرا أخا وأختا لم يدخل المدرسة كسائر إخوته، ولم ينجح في اكتســـــاب أي حرفة في حياته فقط تعرضه إلى المهانة و القسوة والاغتصاب و هو صغير ، أراد البحث عن الحرية بسبب الضرب والعنف من قبل أبيه وكان حله الوحيد هو شعار الـــــــسلام والهروب من المنزل والبحث عن شيء يقوم به و لم يجد إلاَ الشارع مأواه ، ومنفذه الذي لقي راحته النفسية حيث كون كريم عصابة من الأطفال الصغار بفعل السرقة و الاختطاف و النهب يقـول الـــراوي:<<أخبرني أكثر من مرة أن يهب نفسه للحرية.. التـــــي هي في مفهومه أن لا تصبح هناك أي سلطة عليه لا من الناس ولا من الدولة أو الأسرة.. >>. (2)

---

1) محمد بوعزة :" تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم "، دار الأمان ، الرباط، ط1،2010، ص 66 .

2) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة"، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ،ط 5 ، 2008 ، ص 22.

بهذا الصدد نفهم بأنَ كريم شخصية تحاول التمسك بالحياة و تقاوم بكل قـــــــوة صلابة تتصدى للصراعات ،ففي ببعض الأحيان ينظر إليها الراوي على أنها ذاته الباطنية في مأساته الحياتية وبعض ظروفه القاسية التي مر بها لذا تربطهما علاقة وطيدة تحـــمل هاته الشخصية رسالة إلى المجتمع ، و لكن بصورة غير مباشرة كان تعرف مصطفى بكريم عندما وجـــده يتسول طالبا منه النقود لغرض ما عكس ما تلفظ به من شراءه للأكل أي شراء الكله يقول الراوي : << تعـرفت عليـــــه بمقهى " الزهرة" منذ سنـــــة أو مـا يزيد عندما إقترب من منحنا عليً بجذعه ، وبـــيده اليمنـــى مبسوطـة أمـــامي يطلب نصف جنيه كي أكل..... أوهمته بأنني سأخرج المحفظة، فتحركت يده الغامضة قليلا فلمحت زجاجة الكُله داخل قبضة يده ... >>. (1)

قصد الراوي هنا على مدى تأثره وتفاعله مع كريم طالباً منه التوقف عن هذه الآفـــــة المضرة وحذره من أخطارها ومع هذا اللقاء جرى بينهما ألفة ، و محبة و معرفة و قـــــرر مصطفى أن يعطي الاهتمام الكبير لهذه الظاهرة التي انتشرت في المـــجتمع من شمامي الكُله و أولاد الشوارع وعلى ذكر هذه الأخير يقول الراوي:<< اتخذت شلة كريم إتخذت شلة كريم مخيما... فرشوا سجادة بالية (على الأغلب مسروقة من مسجد) و تكوموا بعضـــهم على بعض في حركة دائبة يتبادلون خطف السجائر و مداعباتهم لبعضهم البعض بالأقدام و الأيادي ...>>. (2)

بمعنى أن ظاهرة أولاد الشوارع أصبحت بمثابة هاجس لمصطفى و انبثقت في الـــــبلد ذلك لسبب العنف والمعاملة السيئة من قبل الأهل وعدم وجود الحنان الأسري من طـــرف

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ،ط 5 ، 2008 ، ص 22 .

2) المصدر نفسه ، ص 67.

المقربين فيكون الشارع السبيل الوحيد يقول الراوي:<< كريم حالة مستثناة من أولاد الشوارع ... أطاحت به الدنيا فأطاح بكل ما قد يمتلكه أو يحصل عليه ... ومهما تشابكت حوله الحياة وأظلمت الدنيا في عينيه ، أغرق نفسه في بحور الكُله منفصلاً عن هذا الواقع.. تراه قزماً تافها أجرب يستجدي الناس في الشوارع ، لكنَه في عرينه ينفرد جسده بشكل عجيب... و يتضخم صوته و يصبح قادراَ بمفرده على أن يسيطر على مجموعة من أرباب السوابق و محترفي الإجرام... >>.(1)

يعتبر كريم مدخلاً إلى قراءة الواقع القاسي الذي تجلت فيه الرواية يحاول الراوي تقديم المساعدة بشتى الطرق لإخراجه من هذا المستنقع وبعث فيه روح المستقبل و الازدهار لأنَه مازال شاب بإمكانه المضي قدماً و الطريق أمامه مليئة بالأمل و الإيجابيات عكس ما يتصوره هو (كريم) أي تحقيق هدف معين.

3- عصام:

تجلت شخصية"عصام" بدوره على أنَه شخصية ثانوية في الرواية، يعد صديق الراوي الذي يظهر بين الحين و الآخر في الرواية يقدم " عصام" دوراً مهما في حياة الراوي و هو أقل تعقيداً وعمقاً من الشخصية الرئيسية حيث تعد الشخصية الثانوية<< دور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له ، وغالبا ما تظهر في سياق الأحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي >>. (2)

يقطن " عصام" في مصر القاهرة يعمل في مجال الفنون التشكيلية ذات رموز معقدة وجميلة شخصيته شريفة ومذهلة وصديق حميم للراوي يحبه الكثيرين مخلص لعمله يجمع بين الثقافة والفنون والمرح يحب المسرح و"عصام" قارئ جيد في علم النفس والعلوم

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة ، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، ط 5 ، 2008 ، ص 203 .

2) محمد بوغرة : " تحليل النص السردي تقنيات و مفاهيم"، دار الأمان، الرباط ، ط1 ، 2010 ،ص57.

الميتافيزيقية و كتب الصوفية و البوذية و الفلسفة يقول الراوي: << عصام شريف شخص فذ،لا لأنه صديقي الحميم منذ سنوات طويلة... عرفته قبل الغربة و أثنائها، و لكن لأنني اكتشفت عقب استقرارنا بمصر أنَه شخص أكثر من مذهل... يحبه و يوقره الكثيـــــرون و المفتونون بفنه قطاع كبير من الشباب والكبار ومتعددي الثقافات ...>>. (1)

يمثل عصام بالنسبة لمصطفى مرشده في الحياة لما يمتلكه من خبرة للواقع المعاش لعدة نواحي له معرفة شخصيات بارزة عبر أنحاء العالم كان يبحث لمصطفى على فرص للعمل، يقول الراوي: << كان يعرف أن البطالة قد تؤدي به إلى الجنون ، فلم أفلح في أية صحيفة...>>. (2)

على أساس أن مصطفى كان كثير الفشل وعدم التملك بالحياة تكمن شخصية " عصام" على أنه شخص مهووس بالفنانين العظماء الشكلين بحيث، له إبداع في الرسومات كـذلك متذوب ، و متذوق للأعمال التقليدية و الفنية وهي حلم مستقبله أن يصبح شخصـية ذات طراز ومركز بين المشاهير الأكابر يعتبر الوصول إلى عالم الشهرة موضوع بالغ الأهمية و التفكر طمح للزواج و الاستقرار و لكن من الصعب أن توجد بحياته وقلبه امرأة تجعـله يحبها و يطلب منها ذلك يقول الراوي:<< صعب جداً أن توجد من تجعله يحبها...عصام طيلة حيـــاته ليس خاليا من تجارب عاطفية مبهجـــة لكنـــها أقصـــر مـــن دورة حيـــاة الذباب ... >>. (3)

يقصد الراوي على أن " عصام" لم يتمكن يوم بمعاشرة إمرة واحدة بل كان شخص متغـــير غير نظامي بجانبه العاطفي ، وعلاقاته الغرامية و بعد هذا كله ذهب إلى بلد مغاير بلـــد

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ،ط 5 ، 2008 ، ص 44 .
2) المصدر نفسه ، ص44 – 45.
3) المصدر نفسه ، ص 46 .

أجنبي ليتعرف على أعمال فنية في بلد آخر سنغافورة تعرف حينها على فتاة أجنبية تعمل بمجاله و تحب " الفن" وبمرور الوقت طلب الزواج منها يقول الراوي:<< و قال لي أحد رأيت عصام يقف في الهواء أو ينام عاريا على المسامير أو يخرج من أنفه الثعابين كنت سأصدق... أما أن يقول لي... إن عصام مغرم ويحب بجنون و إنه قرر الزواج قريب... فهذا أقرب من المستحيل ...>>.(1)

جسد عصام صورة الشخص الذي حاول أن يغزوا العالم ليعرف خباياه و أسراره و يبث من خلال فنه جميع مقومات الحب و التكامل و الأمل و التعايش مع الزمن بكثير من التماسك.

والأمر المهم الذي تحدث عنه الروائي" **مكاوي سعيد**"من خلال الراوي أن عصام أصبح مثل الطفل الذي أمسك بشيء ثمين وغالي لا يمكن الاستغناء عليه وهو حبه لزوجته" سامنثا" ،و فقدانه لها بعد موتها أضحى شخص غير مبالي لنفسه وما يمر به من معاناة و قهر رسم كل ما كانت تحبه وتطمح إليه على جدران المنزل والمطبخ وكل زاوية من بيته تجعله يستذكرها من أجل إلًا تخفى عن عينه يقول الراوي:<< كان عصام يبكي و أنا أحتضنه و بالكاد أسمع صوته المكتوم الخارج من فمه الملتصق بصدري>>. (2)

يحاول الروائي هنا الوقوف عند لحظة الفشل التي يمر بها عصام وفقدانه الأمل الذي تمسك به طيلة مشواره الفني و العاطفي و المستقبلي.

1- مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ،ط 5 ، 2008 ، ص 46 .

2) المصدر نفسه ، ص 221 .

4- يوسف حلمي :

وردت شخصية " يوسف حلمي " على أساس الشخصية الجذابة التي لها دور فـــــي التأثير على الراوي بمعنى أن الراوي معجب بهاته الشخصية ومدى تمحورها وجاذبيتها على المحيط الاجتماعي أي كيف بنت شخصية يوسف حلمي، وكيف أصبح ملفت للانتبـــاه لصلابته وقوته في التأقلم مع كل ما يحيط به من مسؤولية.

يوسف حلمي مدير للإنتاج و منتج سينمائي قديم مجاله واسع ، ومتفرع ومبهر فـــي الوسط الفني و اسمه يحتل مكانة عبر ساحة المشاهير في العمل الفني متزوج و له و لدين الأول اسمه " شريف " محاسب بإحدى شركات البترول و هو متزوج و الثاني اسمه"سعيد" يعمل طيار و لكنه توفي إثر تعرضه لسقوط أدى بموته، تكمن العلاقة بين الـــــــــراوي" مصطفى" و" يوسف حلمي" إلى أن "مصطفى" يعمل في مجال الصحافة أراد كتابة سيرتـــه الذاتية ليذاع اسمه ضمن الأوائل (المحترفين) في كتابة المقالات يقول الراوي : << فـــي أغلب كان يوسف حلمي يجلس كل يوم على كرسيه الهزاز وهو ينظر إلى صورتها المعلقة في غرفة نومه ويبثها حبه الذي لم يتفوه به إليها أبداً في حياتها... أيضا كان يطلب منهـــا منها مسامحته كل يوم ... >> .(1)

يقر هنا يوسف حلمي أنه ذو طابع "كتوم" لا يقر بما في داخله شخصية إنطوائية بذاتها رغم مشاركتها ما حولها غامضها وصامت لمشاعره وهو ما جعل مصطفى أن يتقرب منـــه ومصادقته ومصاحبته إلى أن أضحى مقربين لدرجة الأب و الابن أراد مصطفى كتابـــة

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة ، الدار للنشر و التوزيع ، القاهرة، مصر ، ط 5 ، 2008 ، ص 38 .

سيرته التي لا ينطق بها لأحد حتى ابنه المتبقي له من زوجته و كل ما أراده مصطفى هو البحث في وسطه الفني يقول :<< ... اطمئن لي كليا ووافق أن يملي علي مذكراته بشرط آلا أنشر منها حرفا إلا بعد الانتهاء منها...>> . (1)

تبين أن مصطفى يقدم مقولاته ، وسيرة يوسف حلمي لأية مجلة فنية أو بيروتية ليشق بعدها طريقه ، وكان شديد التمسك بحلمه باعتباره أن ما سوف يقدمه للمجتمع كنز ثمين لا يمكن الاستغناء عليه، و اكتشاف زوايا مخبأة من الماضي و الحاضر، وما يطمح إليه في المستقبل يقول الراوي:<< أصبحت بمثابة قس الاعتراف ليوسف حلمي ... كان يحكي لي عن خياناته المتعددة لرفيقة عمره الطويل التي تحملت بصبر أودى بها في النهاية كمداً... كان يحكي لي أيضا كيف كان منشغلا بعالمه ... نقود ونساء وشهرة.....>>. (2)

وغيابه " يوسف حلمي " متوقع في أي لحظة فجأة قرر البوح بسر لم يستطع الكتم به لوحده بعد وفاة زوجته فأراد قوله لمصطفى وعدم قول كلمة واحدة لابنه شريف أدى الأمر هنا بمصطفى إلى الغموض والإبهام والتشويش ألا وهو سر ابنه " سعيد" في قوله: << ارفع الدوسيهات كلها ففعلت و اصطدمت أصابعي بشيء صلب بارد و ارتجفت وضعت المستندات على السرير... كانت طبنجة(*)، مخيفة ... كنت في بدء حياتي و المصائب تلاحقني باستمرار لكن هذه كانت أعظمها ...>>. (3)

الأمر المحير و المثير للدهشة أن يوسف حلمي لم يخبر مصطفى ما هو سر الطبنجة

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة "، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ، ط 5 ، 2008 ، ص 38 .

2) المصدر نفسه، ص 39 .

*) الطبنجة : نوع من الأسلحة العسكرية " مسدس".

3) المصدر نفسه ، ص 41 .

و ما المغزى من تسليمه لها و لكن الموقف لم يقف هنا دفع مصطفى إلى الاستغـــفار لما أراد أن يخبره هو بذاته يقول:<<لم أعرف حقيقة مرض يوسف حلمي، و إن لم أعرف حقيقة مرض يوسف حلمي، وإن بت أعتقد أنَه ينتهي بالجنون... لقد جن الرجل فعلاً ... صممت ألَا أخذها منه فبكى و أقسم بأنَها رغبة ابنه سعيد... عجزت عن فعل أي شيء... استسلمت تماما أمام دموعه الصادقة و قسمه و أقواله المبهمة على لسان إبنه الشهيد إلـى أن أضعها بسرعة في حقيبتي ... >>. (1)

يتبين لنا من خلال دراسة هاته الشخصية أنها شخصية لها دورا فعال في الرواية وذلك لأحداثها المؤثرة ،و المتغيرة تعتبر مدلول التنوع والتعقيد والغموض تحيل إلى دلالات تجعل القارئ بتتبع أحداثها ، ومسارها المبهم حتى الوصول للفهم ، والتأويل ، وبالتالي ظـــــهوره مؤقت في الرواية .

5- هــند:

تعد " هند " شخصية طموحة ومثابرة ، ومحبذة و محبة لدى الجميع هند شعلة مـــن النجباء تشارك في مختلف النشاطات " هند " طالبة جامعية تقوم بأنشطة متعددة عضـــو عامل بفريق الجوالة وفي جمعية أنصار المسرح ، وجمعية محبي الصحافة كذلك تقـــوم بتنظيم النشاطات الفينة على مدار السنة الدراسية ، و ترتيب الحفلات الجماعيـــــــة.

تسكن " هند " بشارع خيرت في منطقة لا طوغلي بمصر لها علاقة و طيدة مع الراوي سواء من الجانب العاطفي أو الجانب الدراسي و عنصر مؤثر في الراوي لأنَها مقربة منـه لأبعد الحدود ، و ذلك لأنَ مصطفى رأى فيها مثال المرأة المناضلة و المكافحة و الطموحة

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ،ص 58- 59 .

جد متمسكة بالحياة و مدى جاذبيتها على الآخرين بأقوالها المؤثرة و نصائحها المعتـــبرة يقول الراوي:<< أنا و هند غدونا صديقين ثم حبيبين دون أن نصرح بحرف واحد مـــــن مشاعرنا...و أنا اختزلت العالم كله في نظرة عينيها... و هدبيها الكثيفين الفاتنين... عودها النحيل ... ابتسامتها التي تشبه النبقة(*) الصغيرة أعلى صدغها الأيمن تتوسط المنطقـــة التي بين نهاية حاجبيها وأذنها >>. (1)

تجلى قول مصطفى على حبه و صدق مشاعره و غدى ملحاً بالتمسك بها، لم تدم تلك العلاقة إلا قليلاَ حتى توفيت "هند" إثر تعرضها لانفجار وقع في الجامعة أثناء تقديمها لبعض التحف الأثرية كانت بها قنبلة متروكة لم بلحظها أحد فأمسكتها لعباً مع أصدقائها و وقع ما وقع.

شخصية "هند" ليست شخصية عابرة في الرواية و إنَما لها دوراً رئيسياً في حياة الراوية.

---

*) النبقة : شجرة من فصيلة صدرية أغصانها ملساء بيضاء اللون تحمل ألوانها أزهار صغيرة متجمعة إباطية و ثمرتها حلوة تأكل و هي توجد في مصر شمال إفريقيا و بلدان أخرى.

1) مكاوي سعيد :"تغريدة البجعة" ،ص 123.

2- الذات عبر المكان والزمان :

أولا : علاقة الذات بالمكان :

للمكان أهمية خاصة في تشكيل العالم الروائي ، ورسم أبعاده ذلك أنَّ المكان مرآة تنعكس على سطحها صورة الشخصيات ، وينكشف من خلاله البعد: النفسي و الاجتماعي يساهم في تصوير المظاهر الجسدية ، ولباسها وسلوكها فالمكان في النص الروائي مكان له دور فعال،إذ قد يتحول من مجرد خلفية تقع عليها أحداث الرواية إلى عنصر تشكيلي له دلالة واضحة يعرفه الباحث السيميائي"**لوتمان**" بقول:<<هو مجموعة من الأشياء المتجانسة(من الظواهر،أو الحالات، أو الوظائف،أو الأشكال المتغيرة ...) تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية(مثل: الاتصال، المسافة...)>> .(1)

يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد بحيث لا يمكن << تصور حكاية بدون مكان فلا وجود لأحداث خارج المكان >> (2)، بحيث قد تكمن العلاقة بين المكان و الإنسان لأن هذا الأخير يربط وقائع أحداثه سواء من الناحية الفرح ، أو الحزن ، النجاح ، أو الفشل الموت ، البدايات، النهايات، وغيرها من الوقائع التي يمر بها المرء في حياته بالمكان لأنه الوسيلة التي تعطينا مفتاح الذاكرة ، و استذكار أجزاء مضت هو المسار الذي يسلكه بنا السرد الروائي، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد.

---

1) محمد بوعزة :" تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم "، دار الأمان ، الرباط ، ط1،2010 ، ص99 .

2) المرجع نفسه، ص 99.

تربط " الذات " العربية (الشخصيات) علاقة جد وطيدة بالمكان انطلاقا من الاستجابات النفسية و الشعورية التي تمر بها كل الشخصيات في الرواية بحيث لكل مكان حدث، و لكل حدث مكان فتتحول العلاقة بين " الذات " ، و " المكان" من علاقة سكون إلى علاقة حركية تغيير بمعنى أن الأحداث لم تجر في مكان واحد بل تعددت الأماكن في الرواية من(المقاهي السجن، البيت، الشارع... إلخ)، من الأماكن الألفة و المعادية التي يحبها الإنسان، و التي يحبها و يكرهها فالمكان في الفن الروائي قد يعكس لنا<< صورة الواقع الاجتماعي للبيئة و لكل ما تضمه من ظروف ، وأحوال متغيرة و زمان و وقائع وثقافة ، و قيم >>. (1)

وعلى هذا الطرح فالمكان له علاقة بالإنسان منذ ولادته فهو الحيز الذي يحتويه ويحيط بوجوده ، ويحفظ الجماعة فيكون هناك نوع من الصراع بينه وبين " الذات " جسد الروائي "**مكاوي سعيد**" الشخصيات في الرواية وتنوعت الأماكن ذلك وفق أحداث العمل ويعكس لنا النظرة الثاقبة التي يريد من خلالها إيصال صورة <<الروائي فتكون الأبطال للمجتمع في الرواية نتيجة للبناء الروائي>>. (2)

بمعنى أراد الكاتب هنا أن يمنح (للذات) علاقة بالمكان سواء بالسلب أم بالإيجاب تدفع نفسها إلى إثبات وجودها وتحقيق ذاتها ، وبهذا نجد الكاتب " **مكاوي سعيد**" وضح

---

1) حيدر لازم مطلك : " الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي "، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، ط1 ،عمان، الأردن، 2010 ،ص 198 ، 199.

2) سعيد يقطين : " تحليل الخطاب الروائي (الزمن –السرد–التبئير) " ، المركز الثقافي العربي لطباعة ، و التوزيع، ط3، الدار البيضاء ، المغرب، 1997 م ، ص 29.

في روايته عدة أمكنة منها الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة التي تجسد لنا شعور الـــــذات اتجاه المكان والطريقة التي تدرك من خلالها ذلك المكان ، كذلك ارتباطها بالتجربة و العلاقـة المكونة بينهما.

كما اتضح عدم و جود أنماط ثابتة للمكان المفتوح و المغلق لأنها تتداخل مع بعضـــــها البعض في الرواية.

أ- الأماكن المفتوحة:

تعتبر الأماكن المفتوحة عكس الأماكن المغلقة و هي أوسع وأشمل، تتخذ من الطبيعـــــة مكانا لتأطير أحداثها وتتميز هذه الأماكن بالانفتاحية في الرواية لأنها تسمح للشخصـــــيات بالتردد إليها من أي وقت.

حيث يرى"**حسن بحراوي**"أنَّ الأماكن المفتوحة تكتسي أهمية بالغة في الرواية فهي تشـــكل << مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها ، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلمـــــــا غادرت أماكن إقامتها الثابتة مثل:الشوارع والأحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج >>. (1) بيوتهم كالمحلات و المقاهي و من هذه الأمكنة المفتوحة نذكر منـــــــــــــــــــها :

1- المقهى:

يعد المكان الذي يتجمع فيه الناس بطبقاتهم الاجتماعية المختلفة ، بحثا عن الترويـــــج الترفيه على النفس مكان مفتوح للعامة مكان ألفة و هو شعور يعني<< الاجتماع و الالتـــئام و المؤانسة>>.(2)

---

1) حسن بحراوي:" بنية الشكل الروائي" ، المركز الثقافي الغربي ، ط1، الدار البيضاء، المـــــغرب، 2009 ،ص 40.

2) د/ حمادة تركي زعيتر:" جماليات المكان في الشعر العباسي"، دار الرضوان النشر والتوزيع ، ط1 ،عمان ، الأردن، 2013م ،ص 174 .

تعد المقهى من بين الأماكن التي يرتد إليها الراوي " مصطفى" تربطه علاقة حميمية بهذا المكان إذ يشعر بالاطمئنان والراحة رغم انزعاجه من الجر سون وعصبيته يجعل من المكان حماية، ومهرب من الواقع ومشاكله في قوله: <<هذا الوقت بعد منتصف الليل بقليل و المقهى على وشك الإغلاق ثمة رواد قلائل لا يشغلون أكثر من منضدتين يلعبون بروح ثأرية غير مبالين بالبرد والصقيع ، كنت أحتمي بوجودهم... >>. (1)

يدل قول " مصطفى" عن المقهى هو مهربه الوحيد كلما تصادفه كآبة وضيق و ما شابه ذلك من صراع مع نفسه والعالم حوله يدرك حينها أن هذا المكان هو منفذه و قرار من الجو الصقيع والصوت المريب الذي تخلفه الرياح و الظلمة يقول:<< أصبحت هدفا ممتازا لكافة التيارات الهوائية الباردة المتدفقة من كل الاتجاهات.... الحواري...الأزقة .....الشوارع.....الضباب.....الكثيف.....>>. (2)

معظم الأماكن المحبة لـ " مصطفى" و ينجذب إليها " المقهى " يعتبرها مكان للانخراط مع أناس جدد وكان أول لقاء مع " كريم " في هذا المكان حيث يقول:

<< تعرفت عليه بمقهى " زهرة البستان " منذ سنة أو ما يزيد عندما اقترب منى منحنيًا عليَ بخدعه ، ويده اليمنى مبسوطة أمامي يطلب نصف جنية كي يأكل .....>>. (3)

يرصد لنا الروائي أحداث الشخصية وعلاقتها بالمكان لأنه يتسم بالحركة و الدفء و يمكن

---

1) مكاوي سعيد :" تغريدة البجعة " ، ص 5.

2) المصدر نفسه ، ص7 .

3) المصدر نفسه ، ص 22 .

لأي كان الانتقال إليه يعتبر هذا الفضاء مجالا مفتوحا يعكس لنا حياة الراوي كما يصف لنا "المقهى" القريب من الجامعة لأنه يمثل له ذكريات حميمية تعبث الجمالية بهذا الموقع يقول: << أحب هذا المقهى الذي أجلس عليه الآن بمنطقة" بين السرايات" و لي ذكريات كثيرة مع كراسيه ومناضده ، و أركانه ونصبته التي تعلوها سناج الدخان الملتصق بالسقف ... كنت أجلس عليه أيام الجامعة... لم يكن بالمقهى آنذاك دور علوي ... و لا فتيات يشربن الشيشة على رصيفه...>>. (1)

المقصود هنا أن الراوي يعطي مكانة جمالية خاصة بـ " المقهى " حين يقوم بوصفه وابرز مدى تعلقه به و انبهاره والتفاته إليه لأنه يعطي بداخله إحساس الاستقرار و التأثير عليه يأخذ به إلى التفكير بحبه " لهند "و لزملائه و أصدقائه أيام الجامعة هذا المكان فضاءه الذي يحن إليه للماضي يجعل منه بمثابة صندوق مليء بالذكريات تنبعث لتعطيه الارتياح و الرضا ليكمل حياته اليومية ، وتركن إليه الذاكرة كلما صادفته علاقته " بالمقهى" علاقة تأثر وتأثير من ناحية التعرف ، اللقاءات ، الحوارات مع الزملاء، مكان للحب بحيث يدفع الروائي بالراوي " مصطفى " إلى التحرك نحو إحساسه بألفته يقول : << وبي رغبة كبيرة في الاختلاء بنفسي ... و فجأة تذكرة هذا المقهى... وقادني الحنين إليه... كنت أدور بعيني أبحث عن الأركان المفضلة لزملائنا و أصدقائنا، والمكان الذي كنت أنتحي فيه بهند...>> . (2)

ارتبط مكان الذات هنا " مصطفى" بعلاقة حب و اشتياق و حنين للذكريات وأصبحت

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة " ، ص 119 .

2) المصدر نفسه ،ص 119 .

أدبية المكان أو شعريته مرتبطة بالمشاعر و الأحاسيس و التأثير و التأثر بما كـــــــان يصادفه في الماضي غير إحساس اليوم في الحاضر شعر الروائي بمدى فقدانه للأشـــياء التي كانت بمثابة كنزا ثمينا أراد ألا يفارقه مدى الحياة لكن حدث عكس ما كان يتوقع في المستقبل أخذت الحياة مسارها كما أرادت هي ليس كما أرادا هو ، فيمثل " المقهى " مبدأ اللقاءات يبدأ به الروائي روايته ليكون نقطة الانطلاق.

2- الجامعة:

تعد الجامعة من الأماكن المفتوحة مكان ألفة يقصده الكثيرون يجمع كل أصناف البشر مكان يبعث بالمرئ إحساس الحرية والنضج يعتبره الإنسان من الأماكن تحقيق " الـــذات " يشده الشوق ، والحنين إليه فله علاقة وطيدة بزواياها لأن كل زاوية لها جاذبية ســـــــواء بالعداء أو النفور أو الشعور بالفرح و الحزن ، حيث تربط الراوي جاذبية لهذا المكان لأنـها تمنح الشخصية تذكر أيام الشغف و الحب و الصداقة التي تعتبر نادرة لمدى صدقها عاش الراوي فيها بداية حب صادق نابع من القلب يقول الراوي :

<<... قابلتها في أول يوم دخلتي به الجامعة >>. (1)

يصادف الراوي هنا مشاعر وأحاسيس تربطه بهذا المكان يغدو إليه كل يوم ليغمره الأمـان ، و الاستقرار ، ويبعث بروح جديدة بداخله تسودها كل الطمأنينة لما وجد من لؤلؤة لـــن يتخلى عليها وهو يصف لنا كيف كانت أيام الجامعة في قوله :

<< كنت مثل السائح الذي هبط لأول مرة في مدينة لا يعرفها من قبل...أرتني هند مـــن

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة " ، ص 119 .

النشاطات الطلابية الكثيرة... حفلات غنائية ومسرحيات من بطولة الطـــلاب ...>> .(1)

يصف الروائي"مكاوي سعيد" في هذا الجزء من الرواية أن البطل"مصطفى"له علاقة عاطفية أكثر من أنها مكان للدراسة أدرك من خلالها الراوي معنى الصداقة ومعنى التضحية والنبل مدى الفرح الذي شاركه مع الطلاب حين أصدر أول قصيدة من قصائده في حيث يقول :<<الجامعة.. مجموعة كبيرة من صحيفة واحدة بالصفحة الثامنة منـــها قصيدتـــي مضهورة باسمي الثلاثي بالبنط الأسود العريض... كان القلم يرتعش بيدي و الزمـــــلاء يستحثونني على التوقيع لهم و الفرحة غامرة... >>.(2)

شعر الراوي بالألفة وتجربة جميلة مرت بحياته بدأت من هذا المكان بدأت رحلة في الدراسة ومن هذا المكان التحق بالصحافة حلم حياته بعدما كان حلمه الأول"هند" التي كشفت لـــه الحياة بصورة جديدة من خلال حبها فأصبحت الجامحة مكانا أليفا بمجتمع جديد مـــــن المثقفين أتو من بلدان مختلفة فرؤية " مصطفى" كانت مدلولات إيجابية لهذا المكان بحيث أنَ<< المكان يمنح للشخصيات الروائية قوة فاعلة تدفعها إلى التعبير عما يجول في إلـــى التعبير عما يجول في داخلها من مشاعر، تنتج من اختراقها له >>. (3)

بمعنى أن المكان يصبح مساهم في الكشف عن سمات الشخصية و تحديد مواقفهـــا و مواقفها و إبراز مدى تفاعلها و تصرفاتها إذ نجد الراوي "مصطفى" تختلف مشاعره في الجامعة بتغير المواقف سواء كانت (حب، كره، فقدان، حرمان، حزن، كآبة، تشاؤم..إلـخ) الأحاسيس تلك المكنات في النفس و الملتصقة ، بالإنسان منذ الـــــــــــــــــولادة.

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة " ، ص 124 .

2) المصدر نفسه ، ص 125 .

3) أحمد مرشد: "البتية و الدلالة(في روايات إبراهيم نصر الله)"، دار الفارس، ط1،بيروت، لبنان،2005،ص223 .

3- الأحياء و الشوارع :

تعتبر " الأحياء و الشوارع " من الأماكن المفتوحة فضاء مفتوح قد يكون مكان ألفة معادي بالنسبة لأي شخص لأنه قد يجمع جميع المدلولات الإيجابية والسلبية (الظلم اللقاء، الموت، العذاب، القهر، التشرد، سجن، حرية... إلخ) من الدلالات التي قد تكون مصدر للتعايش والتنقل ، والنكران من قبل الإنسان ، ونظرة المجتمع تربط " الذات" هنا علاقة غرابة ودهشة وخوف في بعض الأحيان بهذا المكان لأنه لا يستطيع المرء العيش والإقامة فيه لظروفه القاسية ومن الأحياء التي كان يقطنها ذكريات اشتياق و حب للأهل اعتباره من الأحياء ، التي كان يقطنها في الطفولة و الصبى مكان كلما نظرة إليه العين أو تصادفه تتبعث بداخله تلك الحميمية و الرأفة حيث يقول الراوي :<< من أحلى المناطق المحببة إلى قلبي منطقة الطالبية بالهرم ...لا لأنني عشت بها طفولتي وصباي وأحلامي كما يقول الشعراء الرومانتيكيون ... و إنما للروابط الخفية التي تربطني بها و قد لا أدرك حقيقتها لكي أمتلئ إحساسا بها فعندما أمر بها أو أتواجد فيها أو حتى أعبرها في طريقي لأية جهة ...>>.(1)

يصف لنا الراوي مكان الطفولة و حي من الأحياء التي هي بمثابة ركن أساسي من حياته لن تزول من ذاكرته أيام كلها حنين و افتقار إلى الماضي يبحث في كل زاوية من الأحياء و الشوارع على ما يساعده في تذكر مكان طفولته.

فيقول:<<تغير اسم الشارع الذي كنت أقيم به والذي لا يزال بيتنا الصغير موجودًا به...كان اسمه" شارع توت غنخ آمون" وأصبح اسمه الآن " المساعي الحميدة".. لم تزل البيوت على هيئتها القديمة باستثناء زواياها وواجهاتها التي تهدمت الآن.. امتلأ الشارع بيوت...>>.(2)

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة "، ص 73 .

2) المصدر نفسه ، ص 73.

يُعتبر الشارع هو الفضاء الوحيد الذي يمثل حرية التنقل وسعة الإطلاع والتبدل مجالا مفتوحا تمارس فيه الشخصيات حياتها بكل المستويات هو المسار والمصب في آن واحد ومن جهة ثانية يصف لنا الراوي الشوارع التي يمكُثها "أولاد الشوارع" والمعاناة التي تواجههم من قسوة الشارع و المارة إذ يصفهم بنوع من الأسى والحزن والفقر ، فالراوي كان يسلط الضوء هنا على أولاد الشوارع ومدى تعاطفه معهم وأنه يُكن لـ" كريم" نوع من الألفة و المحبة لكي يصبح إنسان متوازن بعيدًا عن السرقة و العنف حيث يعتبرون الشارع و الأحياء موطن سكنهم ومصدر اللجوء عند فقدانهم الحرية باعتباره هو المهرب الوحيد لكن على عكس ذلك هو مصدر التسول يقول الراوي:<< يفترشون الرصيف خلف السيارات الراكنة بصفوف طويلة طويلة لا نهائية >>. (1)

تنوعت هنا أنماط الأماكن لأن الشارع قد يصبح مكان معادي للإنسان أحياناً مكان للصراع مع الحياة وقسوتها حيث يتذكره كلما مر به لكثرة التجارب و الوحشية و العذاب و لعب (الشارع) دور فاعل في سير الأحداث ، و المحرك لها فهو نقطة الانطلاق مثل " المقهى " في كل مرة.

ب- الأماكن المغلقة:

وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان نقيض الفضاء المفتوح أي << ينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح>> . (2)

---

1) مكاوي سعيدة :" تغريدة البجعة" ، ص 22.

2) فتيحة كحلوشة : " بلاغة المكان (قراءة في مكانية النص الشعري)"، الانتشار العربي للنشر والتوزيع ، ط1، بيروت لبنان ، 2008، ص 17.

1- البيت:

البيت الذي نحس به بالحماية تربطنا به علاقة حميمية يرى "**غاستون باشلار**" أن : << البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عـــنه نظل دائما نتذكره >>. (1)

يعد البيت لاسيما بيت الطفولة أشد أنواع المكان ألفة ، فمن المعروف أننا نعود بذكرياتنا دائما إلى بيت الطفولة و إلى الذكريات الأولى التي لقيناها بين جدرانه، يقوم الراوي بوصف حياته ببيته الذي تربطه علاقة ألفة ومحبة وحنين مع أسرته قبل موت أمه لم تواجهنـــــا وأبيه في قوله:<<مشاكل في هذا البيت صغارا باستثناء مشكلات الذباب البعوض المتوحش و قد اعتدنا عليهما..لظروف اقتصادية عاتية هجرها أغلب مالكيها..>> .(2)

يصف لنا الراوي مدى علاقته بـــ" البيت" تكمن في الدفء الأسري وجو الألفة والمحبة مكان للأحضان بقول "**باشلار**" :<< حين نحلم بالبيت الذي و لدنا فيه، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى ، تنخرط في ذلك الدفء الأصلي>>. (3)

يعتبر البيت المركز و البؤرة التي تحمل قيم الهناء و الأمان يعيش و يسكن فيه المرء مكان للفرح و اللعب و الراحة في الواقع يجمع كل صور الذكريات الحزينة و المرحة فكأن الراوي يصور لنا علاقته بالبيت كانت بمثابة البيت الذي يقصده مع زملاءه أثناء الدراسة ولكن العكس يجعل منه مكان للابتعاد عن جوي الاختناق من أبيه عندما يتعرض للشـــتم إخفاقه في الدراسة يقول :<<عند ترك أبي مفتاح البيت القديم لأمي محذرًا إيـــاها من أن

---

1) غاستون باشلار :" جماليات المكان" ، تر:غالبا هلسا ، منشورات المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر والتوزيع، ط2 بيروت، لبنان ، 1989 ، ص 9.

2) مكاوي سعيدة :" تغريده البجعة"، ص74 .

3) د/وليد شاكر نعاس ": المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات، والرؤيا "، تموز للنشر والتوزيع ، ط1،دمشق، سوريا ،2014، ص 148 .

لأحد دون علمه ... و حملها مسؤولية استخدام أحدنا له (يقصدني بالذات) بدون تعطيه إذنه ....>>. (1)

قصد مصطفى قوله في هذا الجزء على أنه كان يذهب خلسة عن أبيه مع أحد أصدقائه للترفيه عن النفس و الابتعاد عن جو الاختناق من أبيه.

كما وصف لنا علاقته بالبيت أيضا و اعتبره مكانًا تربطه صلة بذكريات الماضي لأمه يعتبره مكانا لرائحة الأهل يقول: <<وفقدانه عندما أدخله أستنشق رائحة أمي، رحمها الله ، أتذكر خفها ورقتها ومؤزرتها لي ... وأستحضر لمت الأسرة حول منضدة الطعام.... و راوئح الطهي الهالَة من المطبخ .. ذكرياتي المخبوءة في أركانه وبين ثناياه .. أشعاري ومذكراتي الموصد عليها...بلاط الحالة الرخيص ممسوح النقوش بفعل لهونها ولعبنا و مشينا و نحن صغار ... >>. (2)

يأخذنا الراوي إلى حنينه وفقدانه للمت الأسرية بعدما كانت يد واحدة تشتت بعد وفاة الأم و الأب عماد الأسرة فالمكان هنا كما تقول الناقدة "سيزا أحمد قاسم" << أن المكان يعكس حقيقة الشخصية و من جانب آخر إن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها>>. (3)

بمعنى الشخصية لها علاقة وطيدة و شوق و ألفة بهذا المكان الذي تترصد منه رائحة الحنان و الأمان كلما ابتعد عنه اقترب أكثر للذكريات والماضي وأصبح الاشتياق أكبر فالبيت هنا يذكره بأمه التي تعبق رائحتها كل أرجاء المنزل.

---

1) مكاوي سعيد : "تغريدة البجعة" ، ص 76.

2) المصدر نفسه ، ص 77 .

3) سيزا أحمد قاسم: "بناء الرواية (دراسة مقارنة الثلاثية نجيب محفوظ)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د،ط)، القاهرة، مصر، 1984، ص 84.

2- السجن :

وفي الرواية" تغريدة البجعة" يصبح السجن(المكان المغلق) فضاء مغلق وضيق ، يقيم فيه الإنسان مجبرا ، فهو مكان معادي بالنسبة لأي شخص لما يجمعه من (العذاب الظلمة ، و الأسى ، والقهر ، والوحشية) كما أن الحرية في السجون غير موجودة يعتبره الإنسان مكان مكروه لنفسه على حد التعبير لا يشعر به ، بالألفة يقول "غاستون باشلار" << هو مكان الكراهية والصراع>> .(1)

يمثل السجن مكان العداء والرفض حيث تفقد النفس الطمأنينة والأمان لأنه يثير فيها (مشاعر الخوف ، لما ينطوي عليه من عداءٍ وكراهيةٍ ، حيث ينتفي الشعور بالأمن و ينعدم الإحساس ، بالألفة و الانتماء). (2)

فتكمن علاقة الذات هنا بالمكان علاقة تنافر ونفور ويرى " الشريف حبيلة" فهو << يتصف بالضيق والحدودية ، ويشكل عالما مناقضا لعالم الحرية>> .(3)

فتجسد السجن في الرواية مصدر شقاء لـ" كريم " الذي تربى في الشارع بعد هروبه من عائلته على أساس أن الشارع هو المأوى له ودخل السجن بسبب شكوت زوجته" وردة " هي كذلك تربت بالشارع أنه بيتها تبيع المناديل وتمسح السيارات لأنّ الراوي" مصطفى " كانت له علاقة بكريم يعتبره مثل أخ له يطمئن عليه و يشفق لحاله وفي يوم من الأيام لم يلحظ "مصطفى" كريم" في أي زاوية من الشوارع يقول << كان الخبر متوقعاُ ولم يزعجني قليلا ، كريم بالسجن فعلا... بعد أن شوه وجه زوجته وردة بحد الموس...>>. (4)

---

1) غاستون باشلار :" جماليات المكان"، ص 31.

2) د/ حمادة تركي زعيتر : "جماليات المكان في الشعر العباسي"، ص 231.

3) الشريف حبيلة: "بنية الخطاب الروائي (دراسة في رواية نجيب الكيلاني)" ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،ط1، إربد ،الأردن ،2010 ،ص222 .

4) مكاوي السعيد: " تغريدة البجعة" ،ص62 .

اعتبر " كريم " السجن بمثابة إهانة و إذلالٌ لكرامته و هو يقـــــــــــــــــول :

<< أقسم على قتلها فور خروجه من السجن ... >> .(1)

اتضح أنَ السجن لم يكن مكان معادي فحسب بل كان مكان للانغلاق والانعزال عن العالم الخارجي رسم لكريم أنَهُ فضاء لسلب الحرية التي لطالما بحث عنها وفي الأخـــير وجد هنا في لحظة خاطفة لم ينتبه لها، يقول الراوي:

<< هو ذكي فعلا لكن ليس بلطجيا رغم صحبته المشردة... >>. (2)

يصف لنا الراوي أن كريم شخص يعتمد عليه في بعض الأحيان و لا يغدر باليد التـي تمد إليه يحدث الفوضى بسبب أشياء من أجل الوصول إلى (الكُله) بحيث نحس أن كريـم صادف مكان منغلق رغم هروبه إلى مكان مفتوح لقي عكس ما توقع من ألم حقيقي ،وفي نظر " عبد الحميد بورايو" أن السجن يتميز << بالانغلاق وتحديد الحركة وخضوع المقيمين فيه للقانون الصارم، و انغلاقه هو مصدر المرارة و الألم >>.(3)

وهكذا نجد علاقة الذات " كريم " بالمكان علاقة تنافر وعداء مكان معادي بالنسبة إليه لأنه قيد الحرية التي سعى من أجل الحصول عليها و خرج من السجن بعد تمضيته بضـــــع أسابيع بعدما عرف " قيمة الأخطاء التي ارتكبها بفعل (الكُله) و لم يتغير.

---

1) مكاوي سعيد: "تغريدة البجعة " ،ص64 .

2) المصدر نفسه، ص64 .

3) عبد الحميد بورايو: "منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة)"، ديوان المطبوعات الجامعية ،(د ، ط) ، بن عكنون ، الجزائر ، 1994، ص 122.

من خلال تطرقنا لهذه الأماكن المفتوحة والمغلقة والتي لقيت اهتمام ملحوظ من قبـــل الروائي و ما يحمله كل مكان من دلالات متغيرة سواء بالسلب أو الإيجاب نجد علاقـــة تتسم بالألفة وأخرى معادية للشخصيات على حسب تجربتها في الرواية استطاع " مكاوي سعيد" أن يجعل لكل مكان حدث يبعث بالشخصية إلى وصفه و أهم آلية اعتمدها فـــي سرد أحداثه هي وصف الأمكنة وعلاقتها بالشخص من خلال (المكان – الشخصية) إلى عنصر الزمن الذي سوف نتطرق إليه في العنصر التالي.

ثانيا :علاقة الـــــذات بـــــالزمان :

من المعروف أن الزمن له أثر كبير في تحديد شكل الرواية بوصف الزمن يلجأ إلـــى خلط المستويات الزمنية في سرده ، وعليه فإنَه يضم أنماط من الأزمنة ، تختلف في بنائـها وفي سردها ودراسة الزمن تأتي مندرجة ضمن الرواية وعلاقته بالشخصيات وترابطه معها بوصفه <<الأحداث الزمن عنصر حيوي ، يتكأ عليه القص بصورة عامة ، فعليه تترتب هياكل عناصر التشويق و الإثارة و فيه تتحدد حركة السببية و التتابع في الحدث أي أنـــه مرتبط بالحدث لا يمكننا دراسة زمن بدون حدث أو عكس >>. (1)

يعد الزمن محورًا يروي الحدث مرتبط بالشخص في المكان و الزمان معا لتكـــــــون الصورة مشخصة أمام القارئ و يتضح المعنى يقول " أحمد مرشد " عن الزمن في كتابـــه

1– ينظر: د / وليد شاكر نعاس: " المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا " ، تموز للنشر والتوزيع ، ط1 ، دمشق ، سوريا ، 2014 ، ص 82 .

"البنية و الدلالـة<< يعد الزمان أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائـي و هو يمثل العنصر الفعال الذي يكمل بقية المكونات الحكائية>>. (1)

حيث تتجلى علاقة الزمان بالشخصية ليُعطيها إبرازًا جلياً ورؤيا تمكننا من إدراك مـــدى فاعلية الزمن عليها وما قد يكون الرابط بينهما في عدة مواضيع و تحـديد الفترة الزمنـــية الحالة الشخصية في تلك المدة، فالزمان مرتبط بالمكان بمعنى<< فوجد الإنسان في المكان كله مؤسس على الزمن، و مبني في الزمن، و لذلك يرتبط الزمان يرتبط الزمان و المكـان في النص الروائي بعرى وثيقة لا تنفصم>>. (2)

فتكمن علاقة الزمان بالمكان والشخصية والحدث ليكون هناك تناغم وتفاعل للأحـداث و تسلسلها مثل علاقة العقل بالجسم لتأثير و التأثر وهذا ما يتحدث عنه الروائي "**مكـــاوي سعيد**" بحيث تنتهك رواية" **تغريدة البجعة**" خطية الزمن، و تتوالى حركة الشخصيات تـبدأ عملية السرد بالساعات وأيام والأسابيع والشهور و التحدث في الماضي و الحنين إليـــــه الحاضر و المتوقع و المستقبل الخفي فنجد ذلك جلي في الرواية في قول الـــــــــراوي: << الوقت بعد منتصف الليل بقليل ، و المقهى على و شك الإغلاق...>>. (3)

هنا تكمن علاقة الذات بالزمن من خلال تمسكها بهذا المكان و الأحداث التي ترتبط به ليكون الزمان و المكان واضحًا في " منتصف الليل "و" المقهى " لتأكيد حركة الزمن في

---

1) أحمد مرشد: " البنية والدلالة (في روايات إبراهيم نصر الله) " ، دار الفارس ، ط1، بيروت، لبنان ، 2005 ، ص 233 .

2) المرجع نفسه ، ص 234 .

3) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة " ، ص 5.

بداية الرواية ويصبح له خصوصية (الزمن) هذا دليل على الزمن التتابعي يتضمن حركة الشخصيات من أول سطر للراوية كذلك نجد الزمن هو الإطار الذي يحيط بعلاقة الـــراوي مثل المكان و غرضه هنا في تجسيد القضايا التي يبثها لنا الروائي مما يزيد من حدة توتر ودهشة الراوي"مصطفى" حيث يقول: << لمدة ثلاثة أيام و أنا أوالي الاتصال بيوســـف حلمي .... وفي اليوم الثالث أخبرتني بأن ابنه و زوجته معه>>. (1)

و في قول آخر مما يؤكد علاقته بالزمن وتفاعله معه يؤكد مأساته حين فقد هنـــــــد و الحزن الذي حلى به في ذلك الوقت يقول: <<الأسى هند تركتني منذ ثلاثة أعـــــوام وكأنها معي الآن تهمس في أذني بألا آمن من للحياة وغدرها...هل سأفقـــــده ؟>>.(2)

تجلت العلاقة هنا بمدى تمسكه بتلك الفترة الزمنية التي كانت كلها أمل وفرح وهل ســوف ينسى تلك الأوقات برفقة هند أي يخاف أن يأتي يوم من الأيام ويفقد ذلك الإحساس بالزمن المحب له.

كذلك نجد تطور الأحداث فيما يشبه تفاصيل الحاضر و الماضي في قولـــــــــــــه: << قاد طائرته وحارب أربعة أيام متتالية ثم احترق معها..... كان قد بدأ يستغرقـــــــه حزنه و أساه القديم ....>> .(3)

هنا تنطلق الشخصية في سرد الماضي وربطه بالحاضر كما نجد ذلك في قولـــــــــــه :

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة " ، ص 52.

2) المصدر نفسه ، ص 53.

3) المصدر نفسه ، ص 58.

<< أحببت لحظات سيرنا الطويل تلك اللحظات التي كانت تعيدني إلى سنوات موغلة في الماضي السحيق.... إلى حياتي التي كانت مبهجة ومبشرة بشيء آخر غير ما أنا موحول به الآن >>. (1)

هذا زمن الماضي جاء متعدد الأبعاد من الناحية النفسية للراوي الذي تمثل في الاسترجاع الداخلي ضمن زمن الرواية و تسليط الضوء على اللحظة المشرقة كلها بهجة و سرور بالماضي عكس الحاضر المبهم كله غموض وزمنه أضحى غير مرئي و يصبح الزمن مرة حليف الراوي و مرة أخرى عكس ما كان ينتظر غير حليفه في قوله :

<< أحيانًا كثيرة أتمنى أن أدفع عمري كله مقابل أن تكون الحياة ولو ليلة واحدة... أحملها فوق ظهري و أطوف بها العالم ... >>.(2)

أراد " مصطفى" أن يعيد الزمن " الماضي "إلى الوراء ليثبت معنى الحياة في تلـــــك الفترة لأنها تغيرت مع مرور زمن الحاضر والمستقبل لأنَهُ أصبح الزمن حاضرا بالقـــوة بالفعل معا في حياتنا اليومية و لا يمكن لحدث ما أن يحدث ما أن يحدث بلا زمن كما أن الشخصيات تتكون في الزمن و من خلاله وسبب اختيار الروائي " **مكاوي سعيد** " الزمـــن في روايته ذلك عود إلى شغف شخصي بوصفها الواقع المتغير يرثي زمنًا غنائيًا مضـــــى يصوغ المستقبل المحتمل بأسئلة بلا إجابات حيث << تبنى الرواية وفق الوعي بالزمـــــن تداعيات الذات عبر الديمومة و الاستمرار لزمن الإنسان الداخلي حيث يتحرك الزمـــــن

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، ص 28 .

2) المصدر نفسه ، ص 51 .

في اتجاهات مختلفة من الحياة >> .(1)

في هذه الرواية تتحرك " الذات و الزمن " في إيقاع داخلي حيث يستحضر ذكريات الماضي على أساس يمكنه أن يتسارع مع الزمن فيربطه الراوي بالمشاعر و الأحاسيس في فترة معينة فقد يتراجع الزمن في لحظة حزن إذا بالمرء يريد توقيفه ، ولو للحظة ليتسارع معه و يصبح في حالة فرح << كان الزمن مفقودا بالنسبة لي ، و لا أدري ما التوقيت، هل هو قبل منتصف الليل أم بعده ...>>.(2)

يريد الروائي أن يقدم"الذات" (الشخصية) التي مرت باختبارات ثلاثة للزمن: زمن التوتر و زمن الانتهاك الذي يعتبره الراوي زمن السلب لعدم التوقف في بعض الأوقات للأعمال التي يريد الوصول إليها زمن كله أخذ إشارات مصيرية بالنسبة إليه وزمن الافتراق و صفه في فراق الأهل و الأحبة و فقدانه " هند " زمن الوداع ، و الأخذ و البعد و الحنين و تجلي هذا ما يمثله المخطط التالي :

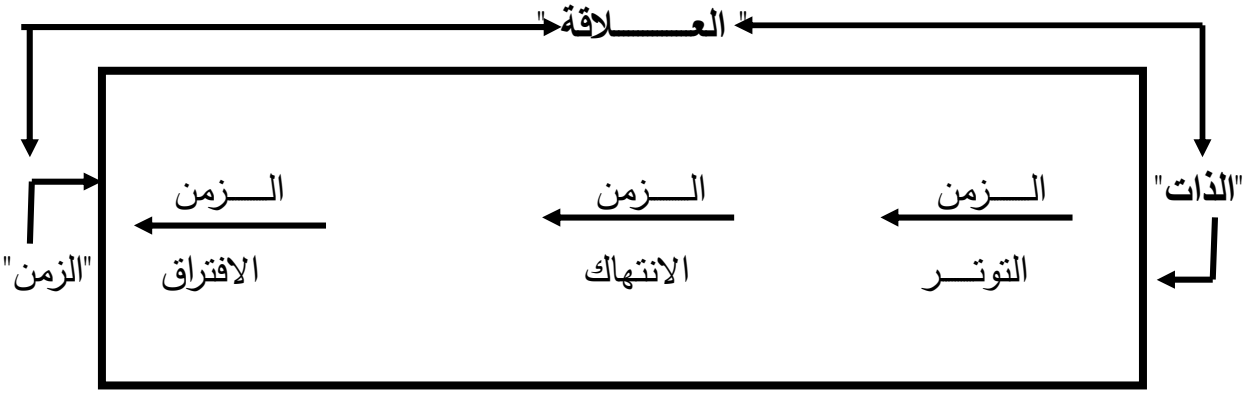

أردنا توضيح صورة العلاقة بين "الذات بالزمن" من خلال الرواية إذ نلاحـــــــــظ :

---

1) ينظر : بشرى عبد الله : " جماليات الزمن في الرواية (دراسة متخصصة في جماليات الزمن في الرواية الإماراتية)" منشورات ضفاف ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ،2015 ، ص 83.

2)مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، ص 176.

1- زمن التوتر:

تجسد زمن التوتر في الرواية بالنسبة للراوي في قوله :<< المرسل مارشا.. متن الرسالة مغلق.. سأعود بعد أسبوع، حاول أن تستغل الوقت وتعمل بقوة كي ننجز... شعرت بارتباك.. ازدادت حدة اضطرابي ... >>. (1)

أراد بنا الراوي توضيح زمن التوتر من خلال تبين مغزى الإظطراب الذي خلفته مارشا في توتره في إتمام عمل التصوير مع أولاد الشوارع قبل الوقت المحدد مما أثار بداخله الخوف من الزمن وحدة مارشا وقلقها.

2- زمن الانتهاك:

تمثل هذا الزمن في التعبير عن فترة السلب والأخذ ونهب الحرية له من الوقت في قوله: << أغمض عيني كل بضع دقائق متصورًا أنني سأصحو وكأن شيء من هذا لم يحدث... في الصباح الباكر جلست بمدخل المستشفى ... أن هند ماتت ...>>. (2)

الشيء الظاهر في هذا القول على الأخذ وسلطة الحياة بسلب ما نملك من تمسك بها في الزمن الراهن و في قوله أيضا عن نهب الحرية للبلاد :<< اليوم التاسع عشر والإسرائيليون يدكون لبنان.. الذي أصدر لي أول ديوان شعر، لبنان أصغر دولة عربية،و المنوط بها الدفاع عن العرب... يطلب مهلة قدرها خمسة عشر يوما لاستكمال الهجوم على لبنان..>>.(3)

تداعيات الذات عبر الديمومة و الاستمرار لزمن الإنسان الداخلي حيث يتحرك الزمن

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، ص 144 .

2) المصدر نفسه ، 133 .

3) المصدر نفسه ، ص 288.

أُعْتُبر الزمن عند الراوي حال الغرب في سلب حرمة العرب ، لأغراضه كلها مصالـح بادية، و خفيةٌ يرى الزمن بصورة الاستعلاَء ، و الأنانية لأنَّهُ (الراوي) يخاف من الزمن له ذكريات كلها أسئ وفقدان وأحزان غير متوقعة تصادفه من أي وقت من الفراق.

3- زمن الافتراق :

تجلى زمن الافتراق في زمن البعد والفقدان للماضي وتذكره في صورة الحاضر ليمنح الراوي فرصة الحضور و الاستمرارية و عدم الاستغناء عليه لكثرة أحداثه في قوله:

<<...اعتدت لمدت شهر كامل عامل أو يزيد أن أقوم برحلة مسائية قبيل الغروب أو حل دفتر أشعاري و أجلس منتظرًا هبوط الغروب ... أتسلل بين شواهد القبور مخترقًا طرقًـــا ترابية طويلة حتى أصل إلى مدفنها ...>>. (1)

كذلك نجد هذا النوع من الزمن في قوله:<<احتاج الأمر مني شهورًا طويلة كي أعود إلى حالتي شبه الطبيعية وثمة شيء فيَ ، قد اختلف.....>>. (2)

قول الراوي أن الماضي يحمل قيما عكس الحاضر في زمنه لأن " الحاضر " يحمل قيما جديدة تختلف عن القيم التي أفرزها الزمن القديم ، والأحداث تمضي عبر خط منعرج غيـر مستقيم في نهايته يتخلله الزمن الخاطف الذي كله تشظي وتـــلاعب بالأقـدار" الـــــذات و الزمن"علاقة حنين للماضي استرجاعه للحاضر بصورة أخرى من الاشتياق إليـــه و إلى سنواته و ساعاته و أيامه.

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، ص 133 .

2) المصدر نفسه، ص 133.

نستنتج من خلال دراستنا للذات في رواية "**تغريدة البجعة**" في هذا الفصل و علاقتـها بالمكان والزمان و تحركات الشخصيات و مستوياتهم التي حظيت باهتمام كبير من قبل الروائي نظرا لما تحمله من دلالات و اختلافات للأمكنـــــة المفتوحة ، و المغلقة و اختلافات الزمن في كل مرة و أهم آلية اعتمدها "**مكاوي سعيد**" في سرد أحداث الرواية ، عنصر آلية الوصف التي تنتقل بنا في كل حدث إلى مرحلة جديـدة حيث أن رواية " **تغريدة البجعة** " لها تساؤلات و عدم و جود إجابات تفك معـــــــــزى الأحداث لأن الأشخاص فيها تربطهم علاقات مع بعضهم البعض سواء في (الزمن المكان ، الحدث ، الشخصية) ، مما لاحظنا كذلك علاقة الذات بالآخر و هذا ما سندرسه فـــــي الفصل الثاني.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الآخر في رواية تغريدة البجعة

أولا :الآخر عبر الشخصيات .

1- مارشا.

2- سامنثا.

3- جوليا.

4- ديانا.

5- إيفلين.

ثانيا: الآخر عبر أحداث الرواية

1- الآخر الحضاري(الثقافي).

2- الآخر الاستغلالي.

ثالثا: علاقة الذات بالآخر.

أولاً :الآخر عبر الشخصيات.

يتعلق هذا الجزء بدراسة شخصيات (الآخر) و الدور الذي تجلت فيه كل شخصـــية و مستوياتها، و التي تدخل ضمن إطار الشخصيات الأجنبية لها تأثير على صورة(الذات) سواء بالسلب أو الإيجاب ومن بين هذه الشخصيات نذكر :

1- مـــــارشا:

وردت شخصية"مارشا" مثلها مثل الشخصية الرئيسية للراوي"مصطفى"بنفس المستوى في الرواية هي نموذج للأنثى الغربية بولندية الأصل أمريكية الجنسية هاجر أجدادها علـــــى أمريكا قبل الحرب العالمية الثانية تمتلك" مارشا" كل مقومات الجمال الذي يتوق إليـــــه .

تمتاز بتفكير مرتب وذكاء، ومعرفة ثقافية بكل ما يحيط بالعالم، لها أراء متميزة فـي أي موضوع من المواضيع كان له علاقة بالتطور الفكري أوأي كان ذلك حيث يصف لنا الراوي مارشا في قوله: <<...العيون الخضراء و الشعر الأصفر و القامة النحيفة و الطـــــول المعتدل...>>.(1)

تعد "مارشا" مصدر الثقافة الإستشراقية التي تبحث وتُبدي اهتماماً جلياً بالحضارة العربية الإسلامية ولكن من منظور إستشراقي كما قدمتها الرواية لنا ، و تعطي تقديسًا كبيرا لعملها و إتمام ما تطمح إليه ألاَ و هو إنهاء رسائل الدكتوراه التي انهمكت فيها و لم تجد البديـل فإنَ الراوي أراد أن يخبرنا عن " مارشا" في قوله:<<.. لم تنه مارشا أياَ من رسائل الدكتوراه ... كما غيرت مواضيع رسالتها أكثر من مرة... من "خلايا التيار اليسار بمصر" إلـــــى " التنظيمات الهامشية وتأثيراتها في مجرى السياسية المصرية" إلى" التيار الديني الأصولي و علاقته بالأنظمة العربية" ... >>.(2)

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ،منشورات دار النشر ،القاهرة، مصر، ط5، 2008 ، ص 147 .

2) المصدر نفسه، ص 147.

مارشا شخصية صامدة لكل المعيقات التي تصادف طريقها تبحث في رسالتها عن شيء يجعلها متمكنة في التمسك بخيط رفيع وسميك بفعله تصبح غربية وشرقية في الآن نفسه هي شخصية سلط الروائي الضوء عليها ، ذلك إجمالاً و تركيزًا بعلاقتها مع الـــــراوي" مصطفى".

ومن هنا أراد " **مكاوي سعيد** "في روايته أن يبعث بنا إلى الشيء الذي تريد مارشـــا و الوصول إليه كتابة رسالتها حول <<ابتغائه وسطية الإسلام و تطرفه من خلال تشـريح الطبقة الدنيا المصرية>>.(1)

أرادت مارشا أن تتم رسالتها في هذا المجال ، ولكن أعطت إهتمامًا كبيرا بفكـــرة أولاد الشوارع كما سبق الذكر عليها لدى الراوي "مصطفى" وغيرت مجال دراستها على هـــــذا المنوال لتوضح الصورة للغرب و اكتشافها النموذج الجديد من "الشرق" مكثت "مارشـــــا" بالأردن عامًا و تعلمت مبادئ اللغة العربية ، ثم إستقرت بمصر سنوات، و أتقنت العامية و كل ما يمكنها من خدمت رسالتها ، و أمنيتها أن تزور السعودية و العراق و قطـــــر الكويت، وغيرها للاكتشاف والتطلع و الانبهار بما يخدمها من معالم و آثار قد تعطـــي لذاكرتها أفكار و تطورات جديدة للمستقبل.

"مارشا" شخصية لها علاقة مقربة من الرواي "مصطفى" تفاعلاً، و اندماجًا بحيث يقول الراوي: << مارشا كأرملة العنكبوت السوداء لن تتركك إلا بعد أن تقضي عليك...>> .(2)

و صولا إلى هذا القول على لسان الراوي أن "مارشا" تريد الاستعانة به و المضي قدما

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، ص 147 .

2) المصدر نفسه، ص 49 .

عن طريقه لأنَه الصورة التي تساعدها بأي شكل من الأشكال للكشف عن الورقة المفـقودة لها " الشرق" بصورة أعم و بفهمم أدق .

مارشا مثال المرأة الغربية التي قد تكون من نصيب الراوي الذي لا يدري معنى العلاقة التي تربطهما مع بعضهما البعض وما مصيرها و إلى أين المبتغى.

هاته الشخصية تجعل من قارئ الرواية يقع في ملابسات و أوهام و مؤامرة بينه وبين الآخر الذي بداخله ليكشف الوهم و المصالح التي تريدها ، هل هي ثابتة أم مجرد سـلاح أجنبي؟.

2- سامنثا :

وردت شخصية "سامنثا" في الرواية على أنها فتاة أجنبية من مجتمع شرقي"سنغـافورة" سيدة أعمال متميزة و ماهرة في أعمالها و مسؤولة عن تسويق الفواكه و التونة و غيرهـا من فواكه البحر إلى منطقة الشرق الأوسط كذلك تهتم بمجال الفني و الأعمال التقليديـة يقول الراوي:<<..و سامنثا هذا هو اسمها.. يكون معناه في لغتها"الأرض الخراب">>. (1) تهتم سامنشا بالفنون التجريبية كما تعرفت على عصام أثناء سفره لبلدها وعرض أعمالـه الفنية و جرى اللقاء بينهما، و أصبحت سامنثا أكثر اهتماما به و تدعمه في مشواره يقـول الراوي :<< ...يقولون أيضا إنها مهتمة بالفن و متذوقة جيدة له... وصار هناك موضوع مشترك بينهما...ثم صارت هناك صحبة...>>.(2)

سامنثا شخصية لها نظرة للفن لأنه يجسد لها الحياة و الروح و تصوير النفس البشرية

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ،دار النشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ، ط5، 2008 ، ص 49 .

2) المصدر نفسه ، ص 49 .

عبر الرسومات وإيصال رسالة للمجتمع و لقيت ذلك في عصام مصدر الإبلاغ تزوجت منه و بعد فترة من الزواج تعرضت لمرض لم تكن تعلم به و قررت الانفصال لعدم تعرفه و الإحباط النفسي و عدم إحساسها للشفقة يقول الراوي :<< للقهر كانت مريضة جدا... عندها حالة متقدمة من سرطان المخ و الأطباء هناك قالوا أنها مش حا تعيش أكثر من سنة ...>>.(1)

لكن عصام إنفصل و لا يدري سبب الانفصال فأدى به إلى الإحباط والفشل ، سامنثا شخصية تجلت في حب الحياة و النظرة الثاقبة للأعمال الفنية.

3- جـــوليا :

شخصية " جوليا " خادمة لـ" مارشا " أتت إلى مصر أثناء تعرض بلدهم إلى الحرب فكانت من الفارين مع ابن عمها اسمه "سبت لوكا " ، أخذتها مارشا من الكنيسة التي كانت ملجأ لها بعد الحرب الأهلية اتخذت مصر مأوى مؤقت هي من جنوب السودان تريـــــد الهجرة إلى الأراضي الأمريكية من أجل الزواج .

تعرفت عليها "مارشا" من قبل الصيدلي " بول القبطي " صاحب الصيدلية التي تقـع أسفل المبنى الذي تقيم به يقول الراوي :<< تحمست مارشا جدا لاستضافتها و تكرمت عملا بخدمتها و...قدمت طلبا رسميا.. قبلته الكنيسة و سمحت لهـا باصطـــــــحاب " جوليا موال دنيق">>.(2)

جوليا شخصية نشيطة مبتسمة و دءوب أمام زوار مارشا الأجانب و لكنها في نفـس

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ، ص 71 .

2) المصدر نفسه ، ص 71 .

الوقت لم تكن تحب مصطفى يقول:<<...خلقة بليدة متوجسة عابسة أمام المصريين و العرب... استشعرت عداءها بعد يومين من قدومها ...>>. (1)

تبين قول مصطفى أنها لم تستطيع التأقلم معه عند زيارته لمارشال و كرهِها له لما لا يدري.

وفي يوم من الأيام بعد العمل المطول لها في المنزل تعرضت " مارشا " للسرقة و لم تتمكن من معرفة الفاعل فكانت جوليا المفتعلة لهذا الأمر ومخطط له من طرف ابن عمها لأنّها لم تطق العيش في مصر والذهاب إلى حيث أرادت و لكن تعرضت إلى الانتحار بسبب عدم بوحها أنها السارقة وتعرضها إلى الضرب من قبل مارشا ومصطفى لإحساسها بالذنب و المهانة إلا أنها السبب وراء هذا يقول الراوي :<<لقد هاجرت جوليا إلى الآخرة سيهاجر ابن عمها سبت إلى السجن...و أنا لا أدري هل طوقت مارشا عنقي بجميل أم حكمت علية حبل المشنقة... ساقها قدرها من بلدها بعيدة >>. (2)

توفيت " جوليا" ولم تحقق ما تطمح إليه مع ابن عمها و لقت حتفها و تركت بصمة مرعبة لدى كل من " مارشا " و " مصطفى ".

4- ديـــــــانا:

وردت شخصية " ديانا" على أنّها شخصية مقربة من مارشا صديقتها ديانا مسؤولة البعثات التعليمية بالسفارة الأمريكية بمصر شخصية أجنبية تعرفت عليها " مارشا" منذ سنوات بينهما مصالح مشتركة لها حيثية كبيرة و مجال عمل كبير بين مصر و أمريكا

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ،ص 71 .

2) المصدر نفسه، 277 .

تقيم في نفس المبنى التي تسكنه مارشا .

ديانا شخصية تحب تنظيم الحفلات، و تهتم بالدراسات الميتافيزيقيا تحصلت على أكثر من الشهادات عبر الدراسات من شبكة الإنترنت كما أنّها تهتم بحد كبير بوسائل العـــلاج الصيني و استخدام الإبر.

ديانا متزوجة و لديها بنتان، زوجها مقيم بأمريكا لم يأتي معها إلى مصر يقول الراوي: << أنا لا أعرف مدى علاقتها الزوجية، وهل هي موصولة أم مقطوعة ؟ لكنني أعـــرف تحب مطرب حمد اسمه شرف ليس لديه حظ كبير من الشهرة بقدر ماله من جاذبية جنـية شريف متخصص في غناء "النسيم الصعيدي" ... ديانا متيمة به و تحاول بشتى الطـــرق استخدام علاقتها المتشابكة في وضعه على خريطة الغناء المصري ...>>.(1)

يبين الراوي لنا بأنّ ديانا رغم زواجها إلا أنها متمسكة بشريف الذي تعرفت عليـــــه و أرادت توصيله إلى الشهرة ، ليصبح ذا مركز يهتم به الناس .

ديانا شخصية كما قولنا مقربة لمارشا تقدم لها التوجيهات عندما تكون محبطة ويغـلب عليها الطابع الإنزعاجي والتشتت (إحباط نفسي).

5- إيفلـــين :

وردت شخصية " إيفلين" أنها سويسرية الأصل ومقيمة بالفيوم تستقبل زوارها الأجـانب سواء من بلدها أو بلد آخر في بيتها الريفي ، صغير المساحة يشبه دوار العمدة كانـــت متزوجة خلال الستينيات والسبعينيات من شاعر ، و بعدها تزوجت من ناقد أدبـــــي.

"إيفلين" دائمة التنقل و الترحال ما بين سويسرا و مصر قررت المكوث هناك(بمصر)

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ،ص 147 .

تقوم بتنظيم مشروع الأعمال الخزفية، وتربي جيلا من الخزافات والخزافين المصريين صانعي ، و صابغ السجاد اليدوي، و الجلابيب ، كما تهتم بالأجانب من ناحية القدوم إلى مصر و ذلك لمجرد الزيارة ينبهرون بآثارها و معالمها و تراثها يقول الراوي : << إيفلين لها رحلة سنوية إلى أوربا تسوق منتجاتها و تتعرف على" هواة زيارة الشرق" المنبهرين بأجواء" ألف ليلة وليلة وتحضرهم معها إلى الفيوم... >>.(1)

تعلق القول على أن " إيفلين " تحب إبراز تراث مصر " الشرق" على الأجانب" الغرب " و تقديم رسالة بأنّ الشرق بلد عظيم بثرواته الزاهية و العظيمة و المؤثرة .

إيفلين صديقة مقربة مثل ديانا لمارشا تذهب إليها لترفيه عن نفسها وبث روح الاطمئنان وتمضية بعض الوقت في منزلها هروبا من المشاكل التي لا تستطيع مارشا السيطرة يقول :<< عليها.. و الأدق تحب نمط الحياة الذي تعيشه...و قدرتها على تحمل إقامتها بمصر والتي تكاد هجرة فقد أجادت اللغة العربية والدارجة و الفلاحي التي تقترب كثيرا من لغة أهالي الفيوم و أصبحت تفكر أيضا باللغة العربية>>. (1)

بمعنى أن" إيفلين" واجهة كل الصعوبات بمفردها في" الشرق" عكس" مارشا" رغم إنها لا تجيد التأقلم في أي بلد غر بلدها (إيفلين) ولكنها أثبتت وجودها بعزمها و إرادتها القوية صمدت "إيفلين" للحياة البسيطة في مصر و تربية الدجاج وجلب المياه من البئر تحب الرقص وتنظم دورات للأجانب اللواتي يأتين معها المحبين لهذا المجال تحضر لهم مدربا متخصص و راقصة محترف لتعليمهم .

تبدو شخصية إيفلين ذات بعد وطني شخصية إيجابية تربطها علاقة وطيدة بأرضها وطنها " الغرب" تريد التعرف على الثقافات المختلفة غير بلدها خاصة بلد " الشرق".

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة" ،ص 145 .

2) المصدر نفسه،ص145.

ثانـيا: الآخر عبر أحداث الرواية.

1- الآخر الحضاري (الثقافي):

تقوم رواية" تغريدة البجعة " على فكرة رئيسية هي فكرة الصراع بين الشرق و الـغرب حيث تضرب المواجهة بينهما فيما يخص التفكير والحضارة و الثقافة، و النظرة المختلـفة بينهما لأنّ الحضارة الشرقية ليست كالحضارة الغربية فقد حرص الآخر (الثقافي) ، أثـناء فترة احتلاله للوطن العربي على نشر التغريب الفكري باعتبار ، أنّ الحضارة الشرقية لم تعد صالحة لتحقق أهداف للأمة ، و أنّ الغرب هو السبيل الذي يشكل أرقى ما و صلت إليـه الإنسانية من تطور و إبداع بحيث يقوم الآخر ببث العادات و المهارات و الابتكـارات و الفنون و أنّ كل الأمور الثقافية عندهم تجري في مدة زمنية محددة بالنسبة لديهم والأمر الذي يجب فهمه <<لا بد أنّ نؤيد قيام الحوارات بين الثقافات بغض النظر عن مصادرهـا الأصلية إلا أنّ ذلك لا يعني أن الثقافي يلغي الهوية و التراث ومعنى هذا أن الثقافة تبقـى ثقافة مهم اختلفت الحضارات تظل تقوم على مبدأ أساسي وجوهري لا بد توافـره ألا و هول مبدأ التكافؤ >> .(1)

فالثقافة لا يمكنها أن نتحكم فيها بل تتحكم فينا ، و أينما كانت الحضارة العريقـة والمجيدة علينا بكسبها و التعرف على باقي التقاليد و العادات المختلفة للبلدان ليس علينـا أن نحكم على الغرب ، بأنّه المتسلط المستعمر لنا ألاّ نأخذ من ثقافته ذلك فقـط من أجـل التعرف و الكسب و النمو التفكيري و ارتقاءه.

---

1) ينظر: أحمد مجدي : "الثقافة العربية في زمن العولمة"، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ، القاهرة، مصر (د، ط)، 2001 م، ص 104.

و قضية المواجهة بين الحضارتين (الشرقية و الغربية) تقوم على مبدأ و أســـــــاس اندهاش الذات بالأخر، ومدى التطور الذي وصل إليه وبقدر مما تنظر الذات الأنا إلـــــى الآخر بصفته عدوا بقدر ما تبحث عن الثقافة و الاكتشاف لتقوية عود المنافسة و هذا مــا أدى بالشرق إلى اللجوء إلى الدول الأجنبية ، فالرواية هنا تجسد لنا الراوي و كيفية التأقـلم في بـلد غير بلــده(أمريكا) الذي ذهب إليها سعيا للتعرف و التدريس اللغة العربيـــــــــة .. أصولها و تعليمها إلى الأجانب على أنها نموذج للحضارة الشرقية يقول الـــــــــراوي:

<<.. فاجأتني أمريكا من زوايا أخرى غير ما يراه الناس بالنسبة لها أربكتن حساباتهـــم الرياضية يخضـــــعون كل شيء لها، حتى العواطف والأفكار المجردة، وتحويلهم كـــــل القيم المعنوية إلى قيم ما دية يسهل التعامل معها... كل أمور في أمريكا.. يجـــــــــــب فرمتتها "ثم تحويلها إلى سطح مستوى زوايا حادة لكي تتعامل مع الآلات ...>>. (1)

الراوي يأخذ بنا إلى الحضارة الأمريكية و اصطدامه بهذا الواقع الجلي المندهـــــش والمتأثر به بمزاياه وقدرته المثيرة للإدراك والزمن القصير الذي يمكنهم من التمجيد والتوسيع لحضارتهم و كسب الوقت في أشياء تبعث الروح من جديد عكس ما يوجد في بلده مـــــن تباطئ للوقت، تستخدم الإنسان الآلي في كل شيء بدقة لا تقبل الخطأ يقول الـــــــراوي:

<< الحضارة الأمريكية تبدو ضد طبيعة الإنسان و ليس بها إبداع إنساني كبيـــــــر..إن أغلب إبداعها من إبداع الإنسان الآلي الذي يفعل كل شيء بدقة لا تقبل الخطأ...>>.(2)

الذات العربية (الشرقية) تعبر عن حضارتها بأنها حضارة تعطي للإنسان البشـــري عكس الحضارة الغربية تقدس الإنسان الآلي له أحقية و الاعتماد عليه في كل زمام الأمور

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة"، ص .148

2) المصدر نفسه، ص 150.

أي خطأ ليس ناجم من عندهم يقول الراوي :<< الخطـــأ البشري جميـــل تحســـه فـــي إبداعات الحضارات القديمة ويُزيد جمالها جمالاً... مفكرنا الكبير زكـــي نـــجيب محـــمود له رأي في الحضارة الأمريكية" بأنها الحضارة التي يُعبر عنها اللبان وناطحات السحـــاب و موسيقى الجاز .. وهو وصف في منتهى الدقة لأنّ نفس الوحدة تتكرر في عدد لا نهائـــي من المرات ... اللبان فيه نفس الحركة التي تتكرر... و نـــاطحـــات السحـــاب و حـــــدة واحدة تتضاعف كما تشاء>> .(1)

وهذا ما دفع بالشرق إلى مجال المعرفة الغربية والوعي الغربي حيث<< يتخذ الآخر صوراً متعددة باعتباره كينونة مفارقة للأنا من حيث اللغة و العقيدة و العرق و التقالـــيد و الموقع الثقافي لكن المفارقة الأكثر لفتاً للانتباه هي التعامل مـــع الأخـــــر بصفتـــــــه أجنبي >>.(2)

و أيّاً ما كان الأمر فيمكن القول أن كل الكسب الذي نجم من التطور الثقافي لدى الحضارة الغربية أضحت مصدراً يعجب به رغم الصراعات التي تواجهها مع العرب ليس حـــــبا أو عشقا بها و إنّما بما تقدمه من خبرة في جميع النواحي التي لا يستطيع الشرقي (الـــذات) تقديمها و اختراعها بأي طريقة كانت لأنّ بعض الصور غير متوفرة بعض الشيء يقـــول الراوي: << عدت من أمريكا بعد عام بفشل شنيع و صرت أضحوكة العائلة و الجيران... لكنني عندما قلت لعصام كل ما ذكرته سابقا... كان فاتحا فمه عن آخره ...يسمعنـــــــي بإنصات شديد...>>.(3)

مصطفى أراد أن يقدم لنا الحضارة الأمريكية بأنّها حضارة تتسم بآفاق واسعة و فكـــر

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة"، ص 150.

2) د/ محمد الداهي :" صورة الأنا و الأخر في السرد"، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، القاهرة ، مصر،ط 1، 2013، ص 13.

3) مكاوي سعيد: " تغريدة البجعة، ص 150.

إبداعي و"مارشا"جزء تلك الحضارة المبدعة يصبح الراوي مصدر مفاوض معها يقـــول الراوي:<< أنا أتعامل مع مارشا بنفس إحساس تجاه الحضارة الأمريكية ...أفهمـــــــها وأفهم تطلعاتهـا و أقدّر حساباتها المتوازنة، التي أعرف جدًا أنّني مجرد رقم فيها و أحاول أن أكون مؤثرًا و خاضعا إذا ما تطلب مني ذلك و أعاملها بفوضوية الفكر الإبداع إذا مـا أردت أن أكون متمردًا >>.(1)

الروائي" **مكاوي سعيد**" ما يريد أن يؤكد في رواية" **تغريدة البجعة**" بأن الآخر الغربي له إمكانيات شاسعة و قوية ، مهيمنة من الناحية الفكرية و الأسلوب المنطق و حينما يريـــد الوصول إلى شيء يفعل لا يتردد فإنّ<< الغرب متفوق في ثقافته الفكرية و هذه هي القـوة الداخلية، التي تستطيع و حدها إبداع الواجهات الخارجية لما يسمى الحضارة و تدعيم هذه الواجهات>>.(2)

الأمر الذي يندرج تحت هذا القول أن الآخر الثقافي له تداعيات عظمى تتبنى الفكـــر القوى و التنظيمات المختلفة ونظرته الثاقبة في مواجهة الشعوب و الكون والمجتمـــــــــع و الوجود و بالتالي فإن هذا الفكر و الحضارة تطمح لهم هي كلها من أجل أداة دعائيـــة سلطوية غرضها تغطية أهداف القوى الاستغلالية الاستعمارية و الغزو الفكر للشـــــــرق التلاعب بالأفكار و أنه لا يمكن للذات التخلص من التبعية الفكرية للنموذج الغربي هـــو مفتاح لكافة أشكال الغموض الذي سوف يقترب منها مع مرور الوقت و الجهاد إليها لقيـام المجتمع الشرقي لتوحيد و مزج الحضارتين معا ليس عندما نقول بأن الحضارة الغربيـــــة

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة"، ص 150.

2) د/ حسن الضيقة: " الآخر في منظور الفكر المغربي الحديث" ، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1994 ،ص 22 .

المعاصرة متطورة معنى هذا الأخذ منها في كل شيء فهي حضارة تنطوي تحتها إيجابيات و سلبيات غير معترف بها في العقيـــدة الإسلامية يتضح أنّ<< ثمــة جوانب إيجابيـــة عــديدة يحملها النموذج الأخلاقي الغربي يجب علينا أخذها عنه باعتبار الحكمة ضـــالة المؤمن ، و على إعتبار أن أسلافنا الذين شيدوا حضارتنا الزاهرة قد أخذوا من الحضـارات الغربية الإيجابيات ، نظرا لعدم تعارضها مع ثوابت نموذجهم الحضاري>>.(1)

من خلال المقارنة بالحضارة الشرقية والحضارة الغربي نجد أن النموذج الغربـــــــي الشرقي بينهما فجوة عميقة بين المحورين متعلق من ناحية الشرق تتمثل في المدن و الحياة الموقف من الإنسان و موقف العقل الإنسان فالغرب رغم اكتماله إلا أنه لا يستطع هـــدم تلك الفجوة لأن الحضارة الشرقية متمسكة بالحكم و الموعظة و الثقة و الاعتزاز و أنـهم (الغرب) لا يستطيعوا أن يصنعوا إنسان واحد يحمل نفس الرؤية المتعلقة بالإنسان و الكـون و الحياة و على الحضارة الغربية أن تدرك بفاعلية التراث الشرقي فالراوي مصطفى يعـــتز بثقافة وطنه رغم ما عرفه في تلك البلاد (أمريكا) و ما كان له من تجول و انبـــهار، رأى بأنه بلد يعش على نظام واحد يقول :

<< يعيش الأمريكان على النظام الثنائي المكون من عددين...(1)و (صفر)... ميـزة هـذا النظام أن للأشياء احتمالين فقط... عند رقم (1) سير و عند رقم (صفر) يقف ..>>.(2)

في الرواية إستشهادات متأثر بها من طرف الراوي ومدى الأمور التي تثـير دهشـــة

---

1) ينظر: خالد محمد عثمان: تفاعلنا الراشد مع الغرب حضارياً و تربوياً ، الدار المصري اللبنانية ، القاهر، ط1 ،2013 ،ص 292 .

2)مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة"، ص 148.

أفكار قد يصعب تصديقها لأنها اختيارات بالنسبة للشرق أفكار جد معقدة رغم بساطتها و يقول: <<ومع كل التطورات التكنولوجية و الفقرة الهائلة في عالم الإنترنت فوجئ الإنسان الأمريكي بأنه أصبح عبدا للمعلومة... و أنه لا قدر على إتمام كتابة روايته إلا بعد أ يفتح جهاز الكمبيوتر لأنها محفوظة داخل " فايلات " و كل أفكاره مدونة في "الهارد ديسك" الذي إذا عطُب لأي سبب ضاعت أفكاره تماماً...>>.(1)

فالراوي(مصطفى) رغم ما عاشه في أمريكا لا حظ بأنهم يميلون إلى التكنولوجيا أكثر و هذا ما جعل حضارتهم تتقدم و تزدهر و الروائي "مكاوي سعيد" أراد أن وضح لنا أنَّ "مصطفى" انفتح على الثقافة الغربية ، و الإعجاب بها ألا أنه لم يتحول عن شرقيته و لا غير أسلوب حياته حتى ولو سيطرة عليه مارشا بديانتها و إغرائتها ظّل متمسك بحضارته.

(ب)- الآخر الاستغلالي:

يعود استغلال الآخر الغربي للذات في رواية" **تغريدة البجعة**"إلى أمر واحد دفع بالغرب إلى إخضاع الشرق بالهيمنة عليه و السبب الوجيز في ذلك هي افتقار المثقف(*) (الثقافة) هذه أحد أزمات المجتمع المصري و معركته مع الآخر قائمة على هذا النحو في الرواية مما استدعى الروائي"مكاوي سعيد"إلى توالي الأحداث و تبيان الصور الاستشهادية في ذلك مما جعل بالشرق برفع شعارها مبهورة بقوة الغرب والخضوع لسيطرتها و استغلالها غير مباشرة ،ما أدى الحافز الأول إلى استعمارها ومحاربتها إن <<بطريقة المشكلة بين العرب و الغرب تتمثل في وجود(فجوة) بينهما نتيجة لعدة عوامل أهمها : العداء

---

1) مكاوي سعيد : " تغريدة البجعة"، ص 149.

(*)المثقف : لفظت المثقف مفهوم مستحدث في اللفظة العربة حاله كحال مفهوم الثقافة ، شاع استخدامه في الأدبيات الاجتماعية و السياسية خلال العقود القليلة الماضية ، و لفظا (مثقف) و(ثقافة) مشتقان من فعل (ثقف) بمعنى (حذق و فهم و أدرك).

التاريخي الطويل بين المسيحية و الإسلام و الغزو الاستعماري للبلاد العربية ، و انتمـــاء العرب للعالم المختلف ، في الوقت الذي مازالوا فه مرتبطين بماضيهم المجيد، مما جـــعل درجة وعيهـــم بوضعهم البائس الراهن ويزيد،بالتالي عداواتهم للغرب مازالـت متواصلة حتى بعـد استقلالهم لما خلفوه لهم من عنف و قهر>>.(1)

دليل هذا القول أن الآخر له استغلالية تامة للذات حيث يطغى إحساس (الآنا) بظلم الآخر و هيمنته تبادر للدفاع عن نفسها خشية الذوبان ، فتسعى إلى إيجاد القوى والهويـــة كي يزداد إحساسها بكينونتها فالذات في الرواية تسمى إلى الوصول إلى مصلحتها أحـــيان الآخر والعكس قول الراوي:<< ... عندما تذكرت مارشا ...التي بدأت معها مؤثرا لعبـــة القط و الفأر.. أن أكون موجودًا في حياتها.. ليس ظلاً لها.. أنا أختفـــــي و أقتـــرب وفق رغبتي.. لكنها أجنبية و تراثها الجيني مختلف عني تماما.. قـــد تـــسأم اللعبـــــة أو تعتاد غيابي .. قد يحل محلي أي أحد... >>.(2)

الموقف من كلام الراوي أن الآخر (مارشا) بصفتها غربية أجنبية تطمح إلى استغلاله من ناحية تكملة رسالتها التي أتت من أجلها (وسطية الإسلام وتطرقه من خلال تشريـــح الطبقة الدنيا المصرية) و أملها أن تتم أيضا و تقدم نموذج للغرب عن ظاهرة أولاد الشوارع هذه الظاهرة أثرت "بمارشا" كثيرا مما جعلها تتمسك بالراوي و عدم مفارقتـــــــــه و رأى "مصطفى" أن المصلحة مشتركة في الوقت نفسه هي تقدم له و تعرفه على الطلبة الأجانب

---

1) ينظر: السيد يسين : الشخصية العربية بين صورة الذات و مفهوم الآخر ، دار التنوير، بيروت ،لبنان، ط1، 1981 ،ص73 .

2) مكاوي سعيد :" تغريدة البجعة"، ص 21.

لتدريسهم و هو يساعدها ف تقدم الصورة التي تريد إليها لكنه هو يقدمها لها بطيبة خاطر لا يدرك المغزى المراد منه يقول الراوي:<< ...قد يحل محلي أي أحد.. و هذه رغبة أراها في عيون كثيرين... لذا قررت البحث بجدي عن كريم و أن أتفرغ قليلا لهذه المهم حتى لو تطلب من ذلك أن أتوقف مؤقتا عن التدريس... فو فشلت في إيجاد كريم لأي سبب من الأسباب، من المحتمل أن تشك "مارشا" في أنني تعمدت ذلك... >>.(1)

المصلحة هنا استغلالية للطرفين الآخر للذات والذات للآخر صورة متعاكسة يقول الراوي: <<.. ولو لا قدر الله – و حدثت قطيعة بيني و بين "مارشا" فسيكون من المستبعد استمرار علاقات مصلحيه لي مع الأجانب الذين يريدون تعلم اللغة العربية أو حتى مع العربية أو حتى مع العرب الذين يريدون العيش كأجانب >> .(2)

الصورة التي أدت بنا إلى دراسة هذا العنصر(الآخر الاستغلالي) هو فرض نفسه على الذات فتحدد الصورة<< تمثيلا يحمل مزيجا من المشاعر و الأفكار التي يتعين القبض على تعبيراتها العاطفية...>>.(3)

النظرة التي يحملها الآخر نظرة واسعة لأفكاره يريد توسيعها من خلال الذات" مارشا" تبحث عن كريم لأنه نموذج مثالي لما سوف تقدمه لبلادها نموذجا يجعل من أطروحتها

---

1) مكاوي سعيد :" تغريدة البجعة"، ص 21.

2) المصدر نفسه.

3) محمد نور الدين أفاية : الغرب المتخيل (صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط) ، دار البيضاء ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1 ، 2000 ، ص 25 .

فخرًا و ابتزازا بالنفس على الرغم من أن الراوي لا حظ هذه الظاهرة لكنه لم يعطـــــــيها القدر الذي أعطته " مارشا" لها يقول الراوي :<< كانت " مارشا" تستمتع إليّ بإنصـــــات شديد ، وأنا أحكي لها ما رأته وشربت سيجارتين متتاليتين وهي تركز ثم ضحكت ببهجـــة و لم تخبرني عن سبب ضحكها أبدًا >> .(1)

هكذا يمكننا حصر أنواع الهيمنة الغربية في الاستغلال الذي يتفرع بدوره إلى أشـــــبه استعمار وهو سيطرة ظرفية ترمي من ورائها القوة الغربة إلى تحقيق أهدافها الشفافيـــــــة السياسية و الاقتصادية و غيرها من الإستغلال الذي يُكِنَّهُ الآخر للذات خف باطني يتجسد في فكرة غير مباشرة.

إن الغرب الحديث قائم على العنف في تعامله مع العرب لم يكن وفيا لمبادئه معه تبدأ بالمعرفة و التقرب و التسلط و التفقير و بعدها إلى التجهيل و تصغير صورة الشـــــرق بمراحل متباطئة.

مارشا بالنسبة إلى مصطفى لم تكن فتاة عادية عابرة بقدر ما كانت كالرمال المتحركة يقول:<< إنها كالرمال المتحركة كلما دفعت بقدمك أسفل رغبة في الصعود، اقتربت مـــن الموت الأكيد ... >>.(2)

فالاستغلال الذي أرادت " مارشا" أن تأخذه من مصطفى مبني على توسيع مكتسباتهـــا الثقافية فالذات تميل بقلبها للآخر و الآخر يميل بعقله للذات كأنّه صراع بين القلب والعقل << كأن القلب للشرق و العقل للغرب ، فإن نطق القلب و سكت العقل انهزام الفـــــكر

---

1) مكاوي سعيد :" تغريدة البجعة"، ص25 .

2) المصدر نفسه، ص36 .

و لكن ما إن ينطق العقل حتى ينتصر هذا الفكر>> .(1)

يتبن إذاً كل عقل هو بضرورته غربي و تأتي الشرق من جهة القلب و حـــده ، دون العقل لأن الراوي انجذب إلى مارشا كونها امرأة مثالية يقول :

<< كثيرا ما يشغلني شاغل أتحير في إيجاد أسباب له، أو حتى تبريرات فبعد أن استتـب الغزو الوهابي على أرض مصر،عن طريق حشود المدرسين و الأطباء، و الموظفين، ... الذين عملوا لفترات طويل بالمملكة السعودية ثم عادوا... تغيرت أنماط الحياة بمصـــــــر كثيرا ...>>.(2)

يريد الراوي أن يوضح لنا أن الشرق بعدما اقتحمها الغرب أضحت مثل عمارة بـــدون بواب يدخلها الآخر ويستغلها بطريقة عشوائية و أصبح الشرق مصدر إلهام لهم <<الشرق لهم نمطاً مخصصاً من المعرفة حول أماكن ، وشعوب ، و حضارات معينة، و قـــــــد أصبحت العبارات الجاهزة المتعلقة بالشرق كثير الحدوث و تجذرت هذه العبارات بقوة في الإنشاء الأوربي>>.(3)

في هذه الحالة النظرة لدى الغرب مدققة(الآخر)حيث تمضي قدماً للتعايش معه(الشرق) وتراقصت بين الاثنين فقدان الثقة و الانسجام<< و لم تتحول العلاقة بينهما إلى صـــراع يهدف إلى الرفض الكلي و الاستبعاد الكامل إلا في فترات قليلة >>.(4)

يخص هذا القول التوتر الذي يطرأ بين الذات (مصطفى) و الآخر (مارشا) مـــــــــن

---

1) ينظر :مهدي عامل: "هل القلب للشرق و العقل للغرب ؟"، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1985 ، ط2 2006 ، ص 19 .

2) مكاوي سعيد :" تغريدة البجعة"، ص93 .

3) مهدي عامل : "هل القلب للشرق والعقل للغرب ؟"، ص 103- 104 .

4) ينظر : أحمد موصلي، - لؤي صافي :"جذور أزمة المثقف في الوطن العربي"، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط1، 2002م، ص164 .

نزاعات يقول الراوي:<< رسالة موجزة على جهاز المحمول أطارت الخمر من رأسي... المرسل " مارشا"... متن الرسالة مقلق " أنا في الفيوم مع ديانا و سأعود بعد أسبوع...>>.(1)

الأمر الذي جعل من "مصطفى" مرتبك و مضطرب في علاقته مع مارشا أنه يسعى إلى تلبية كل ما تطلبه منه بلا تردد وهو درك تماما أنه مصدر مصلحة بالنسبة لها فالغرب عند الجميع مصدر الغالب (الآخر) و المغلوب (الذات) لكن الراوي في الرواية يرى بأن الآخر " مارشا" تزيل مللـه و تعبه ، تلك الأنثى الشقراء ، فهي السكينة التي بحث عنها وجدها رغم أنه يعي جيدًا سبب مشكلات العالم العربي و في قول الراوي عن فكرة استغلال "مارشا " له: << ها قد ردت لي الصاع صاعين...أخبرتني بدون إعلان و بالسلف الغربي المعهود بأنها ستمضي قدماً في إتمام المشروع و لو بدوني ... و أن تأجيلاتي وتسويقي لن يعقها ...كان خليل القزم يتقافز أمامي و أكاد أن أراه و أتخيله، و هو يخبر كل التلاميذ بأنّها ستستغني عني>>.(2)

بعدما لا حظت " مارشا" قلق و اضطراب "مصطفى" قررت بأنّها لا تعي ما تقول من تفاهات جراء توترها خوفًا من تركه لها و هو يقول :

<< كانت راسي تضج حمما و لهباً و كانت " مارشا" تتأملني بقلق ... مررت يدها على

---

1) مكاوي سعيد :" تغريدة البجعة"، ص .144

2) المصدر نفسه ،ص 152.

رأسي برأفة : أنت مريض... تحتاج إلى طبيب...>> .(1)

و لعلَّ الأمر الذي دفع "بما رشا" من تهدئة " مصطفى" هو دافعها الجوهري من حاول إخضاعه لها تقول له:<< أن تستغل الوقت و تعمل بقوة كي ننجز>>.(2)

دليل هذا بأنّه لا مفر منها و كلما تقربا إلى بعض ازدادت دهشته و استغلالها له يقول في قول مندهش:<< عبرت عينايا الأوراق و المكاتبات دون أن أتـــوقف عـــــند إحداها ... كالحاوي الذي فشل في إدهاشك ، فقرر أن يقدم لكي خدعتـــه الكبـــــرى أخرجت "مارشا من وسط دوسيه كبير ميزانية فيلمنا المزعم تنفيذه...التـي بـــها إسمـــي كصاحب الفكرة و كاتب السيناريو و مشرف الإنتاج ، وأمام كل وظيفة رقم كبير بالـدولار الأمريكي ... بينما مارشا كانت مشغولة بفرد سجادة الإغراءات المطوية >>.(2)

قدم لنا الراوي مكاوي سعيد الطريقة التي تلبست بها مارشا لمصطفى و أخذت بيده إلى طريق قد لا يعرف الخروج منه قول الراوي: << " مارشـــا " كالعنكبـــوت السوداء لـــن تتركك إلا بعد أن تقضي عليك>>.(4)

يحاول أن يؤكد لنا صحة كلماته ، وصدقها بأن الآخر في الرواية أصبح ظـلا للـــذات أصبحت هي خاضعة له تمارس لعبة الظهور والغياب، و في كل الأحوال تخاف الذات أن

---

1) مكاوي سعيد :" تغريدة البجعة"، ص 152 .

2) المصدر نفسه ، ص .144

3) المصدر نفسه، ص 153 .

4) المصدر نفسه ،49 .

تخسرها قول الراوي:<< كأنها سيدة مسيطر منحت نفسها لزوجها، فأخفق في ليلة غبـراء على رأسه تطلب منه كوليه ذهبيا أو إسوارة ثعبانّا، حتى لا تفضحه...كنت في صـراع مع نفسي كي أرضي مارشا... طرف خيط بيدها مشدود على آخره و يكاد أن ينقطـع و كـان لابد أن أرخي طرفي...>> .(1)

في هذه الرواية بيان واضح في إمكانية الآخر سواءًا: العقل و السيطرة والمنهجـية الأفكار في التغلب على الذات هذا الإنسان الشرقي المعرض لي أي طعنت من الغرب هذه الخطوط العريضة البارزة على صورة الآخر في الرواية و يبقى دائمّا هو الإنسان الـذي يمثل (المعتدي، المستعمر ، المستوطن ، المهيمن) مهما حاول تبقى صورته مشوهـة بالنسبة للذات العربية حتى ولو أصبح صديقا أو زوجا أو مركز إشعاع إنساني يبقـى مستغل وهذا ما أدى بالراوي لقوله وهو في حالة من الإحباط و الـيأس و الانهيـار <<طريق طويل محفوف بالمخاطر أصبحت أخوض فيه..عالقاً بين شتى العوالم..>>.(2)

الذات تشعر بالضياع الذي يعمل الآخر بكل قوته لتكريس التبعية و السيطرة عليه بكل الوسائل و الطرق من أجل النهب واستنزاف وإجهاض كل ما يطمح إليه الشرق هو رسـم طريق المستقبل لها في وطنها العربي وقلب الأوضاع وفي قول الراوي عن الأثر الـذي خلفه الغرب من كدمات و صدمات <<اليوم التاسع عشر و الإسرائيليون يدكون لبنان.... لبنان الذي أصدر لي أول ديوان شعر ، لبنان أصغر دول عربية و المنوط بها الدفاع عـن العرب...صور الأطفال القتلى بالصحف تتدافع ...>>.(3)

هذا رمز من العنف الذي صدم الراوي و جعله ينظر للغرب بصورة المتسـلط الـذي

---

1) مكاوي سعيد :" تغريدة البجعة"، ص 154 .

2) المصدر نفسه ، 167 .

3) المصدر نفسه، 288 .

يطعن بكل ظلم و وحشية المغلوب (الذات) <<لأنّ الغالب لا يكتفي بمصادرة " تاريخ المغلوب و التكلم باسمه، بل يذهب إلى ما وراء التاريخ في حين لا يجد المغلوب طريقه لإنقاذ إنسانيته، سوى اللجوء إلى وهم الماضي المجيد>>.(1)

إجمالا لما سبق معالجته في هذا العنصر الكاتب اختار نموذج المرأة (مارشا) لتكون رمز للغرب يشعل شعلة الاستغلال بين الشرق والغرب فأصبحت الذات مكبّلة لا يسمح لها بالتطور و لا تستطع أيضا فك هذه العلاقة.

ثالثا: علاقة الذات بالآخر:

لا يمكن أن توجد الذات بدون الآخر و العكس صحيح، فهما و إن تباعدا تنابذا يتفاعلان فيما بينهما سواء بالسلب أو الإيجاب بالنظر إلى كل العراقيل و الصراعات و القوى التي يمتلكها الاثنين تمنح الغلبة لطرف على حساب الآخر، و هذا الأخير يشكل تهديدا للهوية الذاتية ، و تظل العداوة محتملة حتى في حال السلم بن الطرفين و العلاقة بين الذات و الآخر في رواية " تغريدة البجعة" هي علاقة مصالح بينهما تنظر الآخر للذات على أنها مصدر نجاحها (الغرب)، أما(الشرق) الأنا بالنسبة للآخر مصدر مهدد لكينونتها ، بصفته شبح لها يلاحقها ، بقدر ما تبحث عن أصدقاء محتملين لتقوية عود المنافسة سعيا إلى كسب الرهان المنشود وهكذا تتميز الوحدة بين الصديق و العدو أي بين من يساند الأنا إلى حلفها(الشرق)،و من يعارضها و يخرج من ولائها بحيث:

<< تقوم بين الشرق و الغرب منذ القدم ، و على جميع المستويات

---

1) ينظر: ماجدة حمودة: "إشكالية الأنا و الآخر (نماذج رواية عربية)" ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د، ط)، 1978 ، ص 21 .

و الأصعدة، علاقة تجاذب – تنافر يمر خط توترها العالي بالشرق أولاً بـــــأول >>.(1)

فالرؤية جلية وواضحة في الرواية بما تلخصه هاته العلاقة فالراوي عندما تعرف علـــى "مارشا" لم يكن يعي أو يدرك إلى أين سوف يصل بها الطريق أو كيف سيبني المصير في الأول و كيف تكون النهاية يقول: << أدور في فلكهـا .. مـــــدارها يجـذبني أينمـــــا كنت .. مهما ابتعدت أعود إليها ... حالتي خطرة و تتفاقم يوميا... و لا أدري كيـــــف ستكون نهايتي ؟ >>.(2)

و من اللافت للنظر أن الذات في بعض الأحيان تجد ذاتها في الآخر و النقطة التـــي نريد أن نصل إليها في المغزى المراد منه (الغرب) من (الشرق) الروائي استخدم شخصية مصطفى نموذج للرجل الشرقي و "مارشا" للأنثى الغربية ليساعدنا هذا في توضيح الصورة و بيان الخلفية و القصد من ورائها ربطها الكاتب بشخصية مصطفى لأن الراوي رأى فيهـا تلك المرأة الطموحة المناضلة لتحديد هدفها نموذج لم يلحظه بعد في المرأة الشرقية"مارشـا" تعرف ما تريد على عكس مصطفى فسألته أن يحدد طبيعة هذه العلاقة فقال:

<<عندما طلب مني أن أحدد طبيعة علاقتنا، فقلت لها على استحياء أصدقاء مقربيـــــن و كنت أتصور غضبها وحدتها،لكنها فاجأتني بابتسامة..و قالت بعدها إنـها موافقة..>>. (3)

فالراوي يرد توضيح نوع العلاقة بينهما وما يكتنفها من غموض حيث ربط هذا الغموض بالشيء الذي كلما تعرفت عليه كلما زادك الفضـول بالتمسك به يقـول<<أحب مارشا بكـل

---

1) ينظر: نسيب الحسيني: "الغرب المتخيل (رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي)"، تر، غازي برو، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2004 ، ص 44.

2) مكاوي سعيد : "تغريدة البجعة" ،ص97 .

3) المصدر نفسه ، ص 174 .

ما يكتنفها من غموض، وقد يكون غموضها هذا الذي أطال العلاقة بينـــــــنا... >>.(1)

مصطفى كثـــــيرا ما تحدث في نفسه حوارات حـــــــول هاته العلاقـــــة فيقـــول : << أنا أسير جسد و رغبة لا تنتهي و أعرف أن هذا العداء سيكون سبب فنائي، و أننـــي لن أنجو ...>>.(2)

صحيح أن الصراع بين الذات و الآخر بني على مصالح مشتركة و لكن الاهتـــمام الأكبر هو ثقافتها المبهرة التي تجعل أي شخص أو أي رجل يقتدي بها حتى ولو كانت من مجتمع كله قنابل و فتن و سلطة و بهذا أصبحت عملية التفاعل بين الغرب و الشـــرق واقعًا إشكالياً نظراً لما ينطوي عليه هذا الواقع محاولة للإطاحة بالهوية العربية و إحـــــداث تنويم مغناطيسي عليها بالتقرب منها و هكذا تشكلت نزعة التمركز حول الذات ويشهدالواقع هاته الحقيقة المرة بحيث<< التمركز حول الذات صفة طبيعية أصبح موجوداً دائما عـــند الأوروبيين...و قد اتخذت هذه الصفة صبغة تسم بالازدراء الواضح للآخرين.. >>.(3)

فكرة التمركز نابعة من عند المتسلط ذلك الغرب المهيمن بكل أنواعه الحضاريـــــــة و الثقافية و الراوي هنا يبعث بداخله تساؤلات حول " مارشا" فيقول :

<< لا أعرف أين سترسو بي " مارشا" ؟ >> .(4)

حقيقةً مصطفى لم تكون العلاقة بينه و بين مارشا مبنية على الخضوع وإنما علـــى التفاهم لو لم يكن مصطفى يدرك حقيقة " مارشا" و ما المغزى من وراءها لأنها إستطلعته على فكرتها الغربية و ما دواعي قدومها إلى الشرق فوجدته هو أمامها مبادراً لها فيقـــول

---

1) مكاوي سعيد : "تغريدة البجعة" ،ص147 .

2)المصدر نفسه ،ص 183 .

3) ينظر : خالد محمد عثمان: "تفاعلنا الراشد مع الغرب حضارياً و تربوياً" ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، مصر ، ط1 2013 ، ص 33 .

4) مكاوي سعيد : "تغريدة البجعة" ،ص164 .

حول حديثه مع مارشا حين أراد تجنبها أحياناً خوفاً منها <<مصطفى لا تصور أنـــــي سأتركك أبداً وأعود إلى بلدي، إما أن أصطحبك أو أن أعيش معك هنا للأبـــــــــــد اقتربت"مارشا"من منطقة تجنبتها طويلاً، بعد أن حددنا علاقتنا في البداية لم أسألها أبداً عن مصير هذه العلاقة، ولم أهتم وهي أيضا كانت تبدو حريصة على منحي في أحيان كثيـرة انطباعاً بأن علاقتنا كالجرح السطحي الدال على وجود شيء لا أكثر....>>.(1)

و جدت الذات نفسها في حلقة فارغة بعض الشيء من طرف الآخر الذي لم تعد تعرفه وهو يقول: << قد يكون هذا كله و هماً أو شيئاً عادياً جداً و أنا أضخمه ... أنا لن أدافع عن دولة ولاعن مجتمع و أنا شخص نكرة لا اذكر.... >>. (2)

و الأمر الذي دعى الكاتب في "رواية تغريدة البجعة" إلى تسلسل أحداث الشخصيتيـــن هو أن يجعل المساحة للقارئ واضحة تمكنه من إدراك وقائعها و فكر الاندماج بينهمـــا من البداية إلى النهاية و ما كان مصير مصطفى من علاقته بها هذا الأجنبي الصـــارم يـقول الراوي:<< كنت قد تورطت بالكامل و دخلت مستنقع الشك و الريبة بالتعامل مـــع مع الأجانب في العلن و مواضيع قد تمس الوطن أو قد يساء فهمها... أو قد تـــــؤلب على الجميع أصدقاء و أعداء... >>.(3)

الكاتب يكشف لنا الوسط الذي وقعت فيه الذات والإحساس المختلج بداخلها لأن كـــل ما

---

1) مكاوي سعيد : "تغريدة البجعة" ،ص255 .

2) المصدر نفسه ، ص 183 .

3)المصدر نفسه ، ص 182 .

أراده الآخر هو إقامة خيط واصل لمشاريعها بالشرق يقول الراوي: << لما خلوت إلى نفسي كان القلق قد تمكن مني و أحسست بان الشيطان يخرج لي لسانه و يضحك عليَ فقدهربت من أمريكا في الماضي و ها أنا اخدم أهدافها الآن ، "مارشا" تقيم بمصر كل هذه المـــدة و تغير رسائل الدكتوراه كما تغير ملابسها الداخلية... >>.(1)

لقد أحدث هذا اللقاء العاصف بين الطرفين وما ترتب عليه هو إحداث الهزيمة بالـذات و كان تغيراً غير متوقع لأن الذات كانت تنظر إلى نفسها نظرة متأنية إلى ذاتها أولا هـذا ما جعلها بأن تقول (الذات) << لا تتعلق بشيء سوف تخسره مستقبلا >>.(2)

لأن هذه المقولة أخذها مصطفى من عند طبيبه النفسي الذي يذهب إليه كلما أحـــس بالإحباط و الضياع و الاغتراب(*) النفسي لأجل الابتعاد عن الواقع المعاش أحيانا فكلمـا اقتربت الذات من الآخر لقيت نفسها في طريق مسدود و لا يخدمها هي بل يخدمه هـــو (الآخر) الغرب فيقول الراوي :

<< اليوم الطويل آن له أن ينتهي.... >>.(3)

تدل مقولة الراوي على نهاية نقطة العلاقة بين الذات والآخر طريق كله منعرجـــات صراعات إذ لم يكن صراع مع الآخر كان صراع مع النفس التي تهوى دائما و تجـر وراء رغباتها و شهواتها و نظراتها الضيقة التي تعود عليها بالسلب أحيانا رغم أنها طمحت إلـى صورة إيجابية مع الآخر.

---

1) مكاوي سعيد : "تغريدة البجعة" ،ص182 .

2) المصدر نفسه ، ص 169 .

(*) الاغتراب : يعنى حالة انفصال و استلاب ، و هو إحساس الإنسان بأنه ليس في بيته وموطنه أو مكانه ، وفي الطب: الإظطراب العقلي يشعر المرء أنه غريبا عن ذاته و مجتمعه.

و مجمل القول بعد دراستنا لهذا الفصل و إدراجه ضمن الرواية نجد أن الآخر عـــبر أحداث الرواية يدل على صور متعددة لنظرته للذات أو نظرة الغرب للشرق و مقارنته بـــي الحضاريتين و مدى ، المصالح التي نجمت من طرف هذا الغالب الذي جعل مـــــــــن المغلوب عليه مقهورا و رافض للعيش بعدما بنت مستقبل مأمول فقد أصبح الشرق ميدانـــا ساحة معركة للآخر يخوض فيها كل مقتنياته وتدخله في (الذات) و هذا ما وضحـــــــه الروائي "**مكاوي سعيد** " في رواية " **تغريدة البجعة**" لأنها رواية واضحة يسهل للقـــــارئ تناول أحداثها بكل تمعن لأنها رواية تعج بالشخصيات الغربية التي تشكل الغرب و بأشكال متعددة وصور مختلفة و أهداف متغيرة فالكاتب أراد أن يجعل مصر أرضا تحتضن طرفين مختلفين على أرض واحدة رجل شرقي و امرأة غربية تشكلت بعدها الخيبة والإحـــــــباط.

خاتمة

بعد الخوض في هذا الموضوع تبين لنا أن العلاقة بين الذات و الآخر علاقة جـــــد ملتبسة و الصراع بين الاثنين مبني على مصالح مما يزيد الإثارة في طرح أسئلة حـــول الواقع.

فلم يعد هناك مفر من الآخر و خاصة ذلك الآخر المهيمن المستغل لذلك ســـــردت الرواية العربية بعض المقومات و الأمثلة مما يساعدنا في إدراك تلك اللبوسات الأكثر لفتا للوعي الإنساني.

و تناول هذا البحث جدلية الذات و الآخر أي علاقة الرجل الشرقي بالأنثى الغربية كما طرحتها رواية " **تغريدة البجعة** " هذه العلاقة المتشابكة في أحداثها حيث اتخذت صـــــورا متعددة و وجوه مختلفة و أحداث متغيرة و متسلسلة مع بعضها البعض.

و قد خلصت دراستي إلى جملة من النتائج كانت على النحو الآتي :

1/ الذات و ما تطرقت إليه من صراعات و مواجهات من طرف الآخر الغربـــــــــي .

2/ التأثر و التأثير الذي صادف الذات العربية و كيفية النظرة التي بعثت روح المنافسة بين الطرفين .

3/ الآخر في أبسط صوره نقيض للذات و مدى تعدد وجوهه حضاريا و سياسيا ، ثقافيـــا و أشكاله الاستغلالية على الذات العربية.

4/ لقد تبين لنا من خلال معالجتنا رواية " تغريدة البجعة " لـــــمكاوي سعيد" يتضـــــح عديد من الصراعات بين الشرق و الغرب و ذلك من خلال الشخصيات خاصة شخصية البطل " مصطفى " الراوي الذي صادف صورة متغير للحضارة و الثقافة و الرقي بيـــن البلدين وذلك الصراع لم يكتمل منذ قرون مضت إلى حد الآن والتباسات جديدة في كـــل وقت.

5/ كذلك تتمثل العلاقة بين الذات و الآخر على مصالح مشتركة تكمن بأن القلب للـذات و العقل للآخر أي كيفية استغلال الآخر لهذه الذات.

6/ الهزيمة و الإحباط النفسي الشديد الذي مرت به الذات العربية رغم صمودها في وجـــه الآخر.

7/ الرؤية الجلية في النهاية وردت واضحة في الرواية و لكن الآمر المهم هو تجلي الذات و تغريدتها الأخيرة ، حيث فسح الروائي المجال لفهم الشخصية منذ بداية الأحداث.

و ما نستطع قوله في رواية " **تغريدة البجعة**" أن الراوي اعتمد على ضمير المتكلـــم بكثرة في ربط الأحداث و الوقائع.

و أخيرا أسأل الله عز وجل التوفيق فيما قدمته، فله الحمد و التنكر و الرضا وأن يكلل عملي هذا بالنجاح.

ملحق

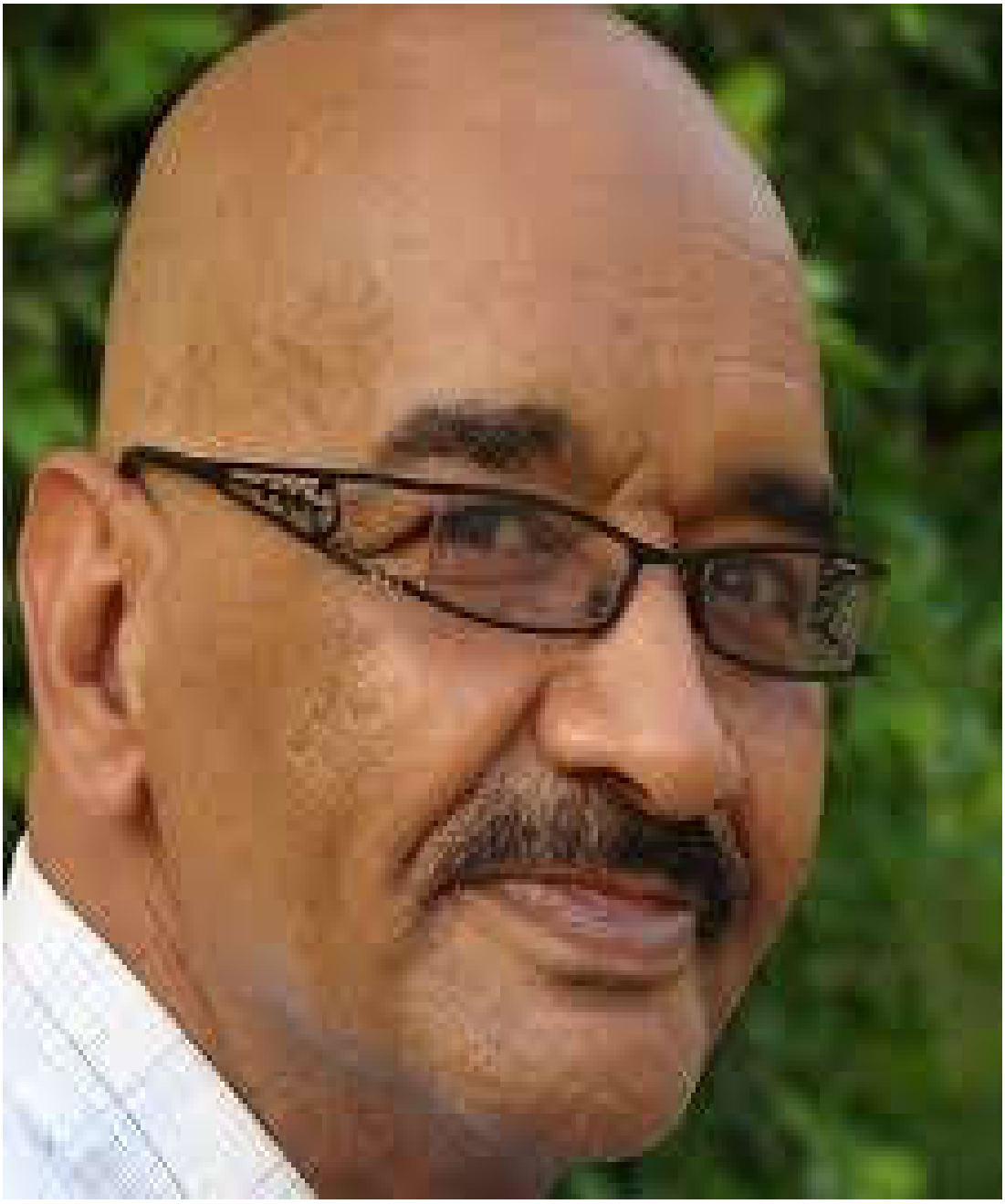

الروائي مكاوي سعيد

ســـــــــيرة الروائي:

مكاوي سعيد كاتب و روائي و سيناريست مصري ولد في القاهرة يوم 6 يوليو 1956 .

1- حيـــــــــاته:

بدأت رحلته مع الكتابة أواخر السبعينات حن كان طالبا بكلية التجارة ، جامـــــــعـــة القـــــاهرة وكان حينذاك مهتما بكتابة الشعر العام و الفصيح عقب تأثره بدواوين صلاح عبد الصـــبور و أحمد عبد المعطي حجازي و البياتي و السياب و القيتوري ، ونشرت عدة قصائد لـــــه فـــي مجلة صوت الجامعة و غيرها كما كانت له نشاطات دائمة في النـــدوات الثقافيـــــة بالجامعـــة حتى حصل على لقب شاعر الجامعة عام 1979 .

بدأ عقب تخرجه من الجامعة كتابة القصة القصيرة متـــأثرا بيوســـــف إدريـــــــس قصص مكسيم جوركي و تشييكوف ، بالإضافة إلى روايات ديستويفسكي و هيمنجـــواي في بدايـــــة الثمانينيات شارك في ندوات دائمة بمقاه شهيرة بوسط البلد كعلي بابا و ســوق الحميديـة حيث يلتقي الأدباء الكبار و القصاصين الجدد الذين يتلمسون الطريـــــــــــــق عـــــرض قصـــته الأولى في هذه الندوات و اثني عليها الكثيرون ، كما فاز بعضهـــــــا بجوائز في مسابقات نـــادي القصبة بالقاهرة ، و تعرف في مقهى علي بابا بالقاصي يحي الطاهر عبد الله وقرأ علـــــــيه قصصـــه فأعجبته و اختار بعضها لإرسالها إلى مجـــلات عربية بتزكية منه وفي تلك الفتـــــرة نشرت له قصص بمجلات و صحف مصرية و ساهم في نشرات بالإستنسل تضم قصصـا لمجموعة كتاب شباب مثل يوسف أبورية، سحـــــــر

---

1) موسوعة ويكيبيديا الحرة ، ينظر تاريخ فتح الرابط : مكاوي سعيد/ wiki /Ttps://ar.wikipedia.org ، على الســاعـــة11:30 يوم : 2017/04/01

توفيق ، عبده المصري.

2- مـــــــــــــؤلفاته:

أصدرت أولى مجموعاته القصصية الركض وراء الضوء ، ابتعد فترة طويلة عـــــن الوســط الثقافي ، بعد الرحيل المأساوي للأديب يحيي الطاهر عبد الله ، وعمل محاسبا في إحـــــــدى شركات المقاولات.

* الركض وراء الضوء.

* فئران السفينة .

* تغريدة البجعة .

* حالة رومانسية.

* راكبة المقعد الخلفي.

* مقتنيات وسط البلد – كتاب عن دار الشروق يرصد فيه عـدة شخصيات ذات طـابع مميزة كما يتناول تاريخ المقاهي و الأماكن المهمة في منطقة وسط البلد.

* عن الميدان وتجلياته – كتاب صادر عن وزارة الثقافة- الهيئة العــامة لقصــــــــور الثـــقافـــة.

رشح لجائزة البوكر عن رواية " **تغريدة البجعة** " عام 2007/2008 و تم رصـــــد جـــوانب من سيرة حياته و أعماله في فيلم ذات مكان ، و هو فيلم تسجيلي للمخرج أحمد شوقـي ، من إنتاج " هاند ميدستوديوز" و المنتج الفني إياد صالح ، ومدر التصـويـــر صالـــح هـــــواش و مونتاج ميشيل يوسف شفيق ، وموسيقى أحمد نادر.

---

1) موسوعة ويكيبيديا الحرة ، سبق الإشارة إلى الرابط.

ملخص الـــــــــــرواية :

رواية " تغريدة البجعة " تقدم لنا صورة عن الإنسان الذي يغرد تغريدة خاصة بالموت مثـل البجع له عادة خاصة عندما يوشك على الفناء ، وفي رواية مكاوي سعيـد كـــــان كـــل من الشخصيات له نمطه المتبع عليه.

تحكي الرواية عن مصطفى البطل ذلك الرجل المثقف الذي حيا حياة المثقفين نشـــأ في بيت من الطبقة الوسطى المصرية المعتدلة في أغلب الأمور تبدأ حياته من المراهقـــة تستمر في شبابه وكهولته ، فيمضي طريقه الطويل محفوف بالمخاطر يطـــرح الروائـــي تفاصيل الـــرواة أن مصطفى يقع في حب امرأة أجنبية غريبة الأصل اسمهـــا مـارشـــا و لديـه أصدقاء منذ الدراسة منهم عصام الذي يعمل فنان تشكلي للرسوم الفنية كان البطـل يحتك بالشارع كثـــيرا و بالمقاهي يعتبرها مكان للراحة ،و هذا ما دفع بمارشا إلى التقرب منه لأنه شخص يميل إلـى شوارع وسط البلد في الوقت نفسه مصطفى على معرفتـــــه بشخص يدعى كريم من أولاد الشوارع ظاهرة لفتت انتباهه ، و قهرته لتلك الأوضاع ممـــا دفع بقوله فإن المجتمع يتغير لـــيس عـــن اقتناع ولكن لأن الحياة قهرتهم، هاته صـــورة عن السبب الذي دفـــع بكريم إلى هـــروبـــه إلى الأحياء طلباً للحرية و عصام و قع فـــي حب فتاة سنغافورية الأصـــل ، حاول مصطفى بـكل الطرق فك العلاقة بينهما و لـــــم يستطع عصام توهم أنه يحبها ، و فجأة يتورط الراوي عاطفيـا مع مارشا والتي لها مشروع خاص بأطفال الشارع بمصر ، و مارشا تريد أن تكمل دراستهـــا و رسالتها حول هـــذه الظاهرة ، تعتبرها النموذج الأمثل و المناسب لدراسة المجتمع المـصـري و أوضـاعـــــه الثقافيـة و تـــــداخل الحضـــــارات و الفـــــرق بينـهم ، مصـــــــــوراً

لنا الكاتب هذا التداخل في تعامل بطل روايته مع الأجـانب المقيمين بمصـر ، و ارتباطـهم بالمصريين مما يؤدي إلى نزوحهم إلى دول الخليج و أمريكا و غيرها من البلدان ، و كثيرا مـا كان مصطفى يطرح تساؤلات حول نفسه من منا المريض أنـا أم المجتمع فجـــــــأة يلاحـــظ أن لكل شخص منذ البداية له تغريد ته ، و أنّه يموت كل يوم ألف مرة بسبـــب عدم فعل أي شـــيء لبلده عكس ما كان يتوقع من هذه الحياة كل ما يفعله به الغرب خاصة وبصورة أعم مارشـا الأجنبية التي تستنفذه و تستنفذ كل ما لديه من طاقات لتصل إلـــى هدفها صـورة للاستغـــلال واضحة في الرواية تتحول حياته و تتبدل طريقـة رؤيته للأمور حيـــث في الأخير يـــــقـــف مصطفى البطل حائراً و تائها لمصيره الذي أصبح تغريدة أخيرة لمطافه دون جـــدوى مقـتنع تماما نهايته البائسة و طريقه المغلق المسدود تمـلاه الهزيمة و الخواء.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

1) المصادر

1. مكاوي سعيد : رواية تغريدة البجعة ، منشورات دار النشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ط5 ، 2008.

2) المراجع العربية

1- أحمد مجدي : الثقافة العربية في زمن العولمة ، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع القاهرة ، مصر ، (د،ط) ،2001م.

2- أحمد مرشد : البنية والدلالة (في روايات إبراهيم نصر الله) ، دار الفارس بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005.

3- أحمد مواصلي – لؤي صافي : جذور أزمة المثقف في الوطن العربي ، دار الفكرة دمشق، سوريا ، ط1 ، 2002.

4- بشرى عبد الله : جماليات الزمن في الرواية (دراسة متخصصة في جماليات الزمن في الرواية العربية) ، منشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ط2 2015م .

5- عبد الحميد بورايو : منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة) ، ديوان المطبوعات الجامعية (د،ط) ، بن عكنون ، الجزائر ، 1994م

6- حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء المغرب ط1 ، 2009.

7- حمادة تركي زعيتر : جماليات المكان في الشعر العباسي ، دار رضوان للنشر والتوزيع ط1 ، عمان ، الأردن ، 2013م .

8- حسن الضيفة : الآخر في منظور الفكر الغربي الحدث ، دار الفكر اللبنانـــــي بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994م .

9- حيدر لازم مطلك : الزمان والمكان في شعر أبي الطب المتنبي ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2010م.

10- خالد محمد عثمان : تفاعلنا الراشد مع الغرب حضاريا وتربويا ، الدار المصرية اللبناني ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2013م .

11- ابن سالم حميش : معرف الآخر، دار الحوار لنشر والتوزيع ، اللاذقية سوريا ،ط2 ، 2010.

12- سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير) ، المركز الثقافي العربي لطباعة والنشر والتوزيع ، ط3 ، الدار البيضاء – المغرب،1997م .

13- السيد ياسين : الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، دار التنوير بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1981م.

14- سيزا احمد قاسم : بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د،ط) ، القاهرة ، مصر ، 1984م.

15- الشريف حبيلة : بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني) ، عالم الكتب الحـــــديث للنشر و التوزيـــع ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 2013.

16-غازي صالح محمود وشيماء عبد المطر : مفهوم الذات ، مكتبة المجتمع العربي لنشر والتوزيع ، عمان الكردي ،ط1 ، 2010م.

17-فاضل أحمد العقود : جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية) دار غيداء للنشر والتوزيع ،ط1 ،2012م .

18- فتيحة كحلوش : بلاغة المكان (قراءة في مكانة النص الشعري) ، للانتشار العربي للنشر والتوزيع ، ط1، بيروت ، لبنان ، 2008م .

19- ماجدة حمود : "صورة الآخر" في التراث العربي ، دار العربية لعلوم ناشرون الجزائر ط1، 2010م .

20- ماجدة حمود : "إشكالية الأنا والآخر" (نماذج رواية عربية) ، عالم المعرفة الكويت ،(د،ط) ، 1978م.

21- محمد بوعزة : تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، دار الأمان ، الرباط ط1 ، 2010.

22- محمد الداهي : صورة الآخر والآخر في السرد ، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة مصر ، ط1 ، 2013.

23- محمد خمار : صورة الآخر في الشعر المتنبي ، المؤسسة العربي للدراسات و النشر ، ط1 بيروت ، لبنان ، 2012م.

24- محمد كاظم الحيزراني : مفهوم الذات والنضج الاجتماعي مؤسسة دار الصادق الثقافية ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2011م .

25- محمد نور الدين أفاية : الغرب المتخيل (صورة الآخر في الفكر العربي الإسلام الوسيط) ، دار البيضاء ، المركز الثقافي العرب ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000م .

26- مهدي عامل : هل القلب للشرق والعقل للغرب ؟ دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1985، ط2 ، 2006م .

27- وليد شاكر نعاس : المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا ، تموز للنشر والتوزيع ،ط1 ، دمشق ، سورا ، 2014.

3- **المراجع المترجمة** :

1- غاستون باشلار: جماليات المكان ترجمة: غالبا هلسا، منشورات المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1984.

2- نسيب الحسني : الغرب المتخيل (رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي)، ترجمة : غازي برّو، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2004م .

4-**المعاجم:**

1- إبراهيم مصطفى وآخرون : معجم الوسط ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر تركيا ، (د،ط) ، (د،ت) .

2- جار الله الزمخشري : أساس البلاغة ، تح: محمد باسل ، دار الكتاب العلمية بيروت ، لبنان ، ج1 ، 1998.

3- جميل صليبا : المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية و اللاتينية) دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، 1984 .

4- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي : لسان العرب ، تح: عبد الله علي الكبير ، دار المعارف ، القاهرة ، مادة (اللغات) مج2 ، ط1، (د،ت) .

5-المواقع الإلكترونية :

1- سيرة الروائي مكاوي سعيد، موسوعة ويكيبيديا الحرة : مكاوي – سعيد ttps://w.wikipedia.org/wiki/

فهرس الموضوعات

فهـــــرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الشكـــــــــــــــر	
مقـــــــــــــدمة	أ – ج
مدخـــــــل : تحديد مفاهم أولية	
أولا : مفهوم الذات.	07-07
1-1 لغة.	08-07
1-2 إصطلاحا.	10-08
ثـــــانيا: مفهوم الآخر.	10-10
2-1 لغة.	12-11
2-2 إصطلاحا.	14-12
الفصـــــل الأول : الذات في رواية تغريدة البجعة .	
أولا : الذات عبر الشخصيات.	17-17
1 . مصطفى	20-17
2 . كـــريم	22-20
3 . عصام	24-26
4 . يوسف حلمي	27-25
5 . هـــند	28-27

فهـــــرس الموضوعات

ثـــانيا: الذات عبر المكان و الزمان .	29-31
أ- علاقة الذات بالمكان.	31-31
1- الأماكن المفتوحة .	29-31
1-1 المقهى.	31-34
1-2 الجامعة.	34-35
1-3 الأحياء و الشوارع.	36-37
2- الأماكن المغلقة .	37-39
2-1 البيت.	41-40
2-2 السجن.	41-42
ب- علاقة الذات بالزمان .	42-49
الفصـــــــــــل الثاني : الآخر في رواية تغريدة البجعة.	50-51
أولا : الآخـــــــر عبر الشخصيات.	52-52
1. مـــــارشا.	52-54
2. ســـامنثا.	54-55
3. جوليـــا.	55-56
4. ديـــانا .	59-57
5. إيفيلين.	57-58

فهـــــرس الموضوعات

ثـــــانيا : الآخر عبر أحداث الرواية .	59-59
1. الآخر الحضاري (الثقافي).	59-46
2. الأخر الاستغلالي.	64-72
ثـــــالثا : علاقة الذات بالآخر.	72-77
- خاتمـــــــة .	78-80
- مـــلحـق .	81-86
- قائمة المصادر و المراجع .	87-92
- فـــــــهرس الموضوعات .	93-96

ملخـــص :

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز العلاقة بين " **الذات و الآخر**" في روايـة " **تغريدة البجعـة**" لـ" **مكاوي سعيد** " لتتعرف على نوع الجدل الذي يربط بينهما ، و مدى التجاذب و التنافـر القائم بن الطرفين ، و قد اتبعت في ذلك تعدد أشكال الآخر في الرواية و أبرزت الغاية من ذلك ، فوقفت عند : الآخر الحضاري (الثقافي) ، و الآخر الاستغلالي، أي الآخر الـــذي يبني مصالحه حسابا على الذات التي تندفع جاهدة للتحرر من العراقيل المكبلة للذات مـنذ قرون مضت إثباتا للنفس الإنسانية لكن دون جدوى لهذا تبقى الراوي المـدروسة تطـــرح تساؤلات حول الواقع المتحول ، الذي يصوغ مستقبلا دون إجابات و حـلولا ، لذا تـــــرك الكاتب تصورات للقارئ تساهم في إيجاد حلول لكيفية التعايش مع الآخر.

Résumé :

Le but de cette étude est de démontrer la relation du "Moi et l'autre" dans la nouvelle "le chant de signe" de son auteur " **MEKKAOUI SAID**" pour savoir l'argumentaire qui lie ces deux concepts ,ainsi que l'attraction et la répulsion entre eux, et elle a suivi la diversité des formes de" l'autre " et la finalité de ce concept ,elle s'est donc arrêter sur "l'autre "civilisationel et culturel et " l'autre" méta analytique c'est– à–dire " l'autre " qui construit ces intérêt au dépeud du "moi" la quelle qui monte inlassablement sur les handicapes du moi depuis des ciecles précédents au approbation de l'âme humaine en vi c'est pour cette raison que le récit étudié pose des interrogations sur la réalité mutante qui défini un future sans reposes ni solutions, l'auteur a donc laissé au lecteur l'imagination de contribuer à trouver des solution de la manière de cohabiter avec " l'autre."